

من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية اللينينية المغربية إلى "الأمام"

الخط اليسراوي العفوي الجديد: من النزعة العمالية الاقتصادية إلى التصفوية والفوضوية والعدمية

إعادة البناء في مواجهة العفوية والفوضوية¹

كل الهوامش هي من وضع موقع "30 غشت".

1 . تنتمي هذه الوثيقة إلى فترة 1980 – 1981 ، فترة تميزت بصدور العديد من وثائق الخلاف داخل المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام" ، ومن بينها بيان يونيو 1979 ، و بيان "التصحيح" الذي صدر بضعة أشهر بعد بيان يونيو 1979 ، حيث قام طرف من الموقعين للبيان الأول (جماعة عبد الله زعزاع وعبد الفتاح فاكيهاني وآخرون) بتوضيح موقفهم من ذلك البيان وخلافهم مع باقي الموقعين ، (خاصة جماعة المشتري بلعباس وعبد الله المنصوري وآخرون) ، ثم صدور وثيقة الردة المعروفة ب "بيان موجه إلى الشباب المغربي والرأي العام الديمقراطي" لصاحبها المشتري بلعباس وعبد الله المنصوري ، ثم وثيقة "الحد الفاصل بيننا" التي أصدرها عبد الله زعزاع سنة 1981 ، ثم وثيقة "حول بعض التأملات النقد ذاتية لسنة 1979" لأبراهام السرفاتي ، بعض هذه الوثائق صدر بعد وثيقة "قرارات 12 نونبر 1979" التي أعلنت عن طرد مجموعة من العناصر المنتمجة إلى الاتجاهين المذكورين أعلاه ، وذلك مزيدا من التوضيح لأصحابها لمواقفهم المعلنة والتي أدت إلى طردهم . إن وثيقة "إعادة البناء في مواجهة العفوية والفوضوية" جاءت بعد وثيقة حول "بيان المرتدين ، الانتهازية والكذب في خدمة الارتداد عن طريق الثورة المغربية" التي أصدرها موقع 30 غشت سابقا . فإذا كانت الأولى موجهة للرد على "بيان الردة" ، فالثانية هي بمثابة الرد على الاتجاه العفوي التصفوي ، و صاحبها هو نفسه كاتب الرد الأول ، و يتعلق الأمر بأحد قادة ما سمي ب "مسلسل إعادة البناء" و هو أبراهام السرفاتي . و قد صدرت الوثيقة و هي تحمل توقيع "مناضل" ، أولا من باب التموية ، و ثانيا لكون رفاقه في القيادة الجديدة لم يتفقوا بعد على الوثيقة ، و يظهر أن الاتفاق قد حصل فيما بعد ، فتم إصدار الوثيقة بصيغة معدلة ، تختلف نوعا ما عن الأولى و تحمل عنوان "العفوية والفوضوية: الطريق المسدود" ، و ذلك في المجلة المغربية "إلى الأمام" ، السلسلة الجديدة ، عدد 4 ، غشت 1982 .

و قد قرر الموقع إصدار الوثيقة الأصلية لصاحبها نظرا لوضوح الأفكار الواردة فيها ، و نظرا لكونها تلخص أهم الأطروحات ، التي كان يدافع عنها العفويون – التصفويون ، و هي من هذه الناحية تقدم خدمة تاريخية ، لمعرفة تاريخ الصراعات داخل المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام" . و قد جاء صدورهما في فترة انتقالية كانت تعيشها المنظمة ، تميزت بتشكيل قيادة جديدة للمنظمة في صيف 1979 ، قامت ببلورة أطروحات جديدة ، تحت شعار "إعادة البناء" ، أهم ما ميزها رفضها لشعار التيار الثوري "التقييم الشامل و إعادة البناء" ، و انخراطها في ذلك ("إعادة البناء" من وجهة نظرها) بعدما استتب لها الأمر عن طريق مجموعة من التحالفات ، حيث قدم الوسطيون و التوفيقيون خدمة للعناصر التي بدأت تبلور مواقف تحريفية ، استطاعت أن تسود داخل المنظمة ، بعدما تم عزل التيار الثوري ، عن طريق مجموعة من المناورات توجت بإطلاق حملة واسعة مشوهة ضد رفاق هذا التيار .

و صاحب هذه المقالة ينتمي إلى هذا التيار التحريفي الجديد ، سيصبح بعد 1985 منظره الرئيسي ، بل المنظر الرئيسي للتحريفية الجديدة بالمغرب ، و هو في هذه المقالة ما زال لم يتخل علنا عن الماركسية – اللينينية (و خاصة اللينينية) الشيء الذي سيقوم به لاحقا . إن الرد الذي جاءت به الوثيقة ، على خط العفوية والتصفوية ، يعاني من طبيعة مواقف كاتبتها ، الذي كان يتبنى أطروحات سياسية يمينية ، بل كان حليفا لموقعي بيان يونيو 1979 ، و مدافعا عن أطروحاتهم ، كما اعترف بذلك في نقده الذاتي الشهير .

هكذا لم تكن الوثيقة ردا حاسما و حازما ضد التصفويين ، لكون صاحبها لم يكن يتوفر على موقف سياسي ثوري من الأوضاع و من التجربة التاريخية لمنظمة "إلى الأمام" ، فتراها في المقالة يقدم هدايا للتصفويين حول خط المنظمة و تجربتها ، و ذلك دون أي تقييم موضوعي بالمعنى الصحيح للكلمة ، فما كان يهيمه أكثر هو عودة هؤلاء إلى المنظمة . ثم إن من يرفض التقييم الشامل للتجربة لا يستطيع الرد بحزم على التيارات

تقديم

أ- هذه الصفحات هي عبارة عن رد على بعض الطروحات التي تغزو هي الأخرى الساحة السياسية للحركة الماركسية-اللينينية المغربية، و هي واردة في توضيح لبعض المناضلين الذين سبق لهم في يونيو 1979 أن وقعوا ما سمي " بيان لتجميد للعضوية من منظمة "إلى الأمام"²، غير أنه بعد أشهر غير هؤلاء المناضلين وجهة نظرهم من بيان يونيو 1979، و طرحوا توضيحاً³ يبينون فيه خلافاتهم الجديدة مع بيان يونيو و منظمة " إلى الأمام" و الحركة الماركسية – اللينينية عموماً. و توضيحهم هذا الذي سيكون ملحقاً مع هذا الرد⁴، أثار اهتمام مناضل⁵، كما أثار الغموض حول طروحات حل الحركة الماركسية-اللينينية مجسدة في تنظيماتها، بلبله لدى العديد من المناضلين في منظمنا " إلى الأمام" خاصة و أن النقط التي يثيرها هذا "التوضيح" تلتقي مع عدد من الطروحات أو تقاسمها نفس التحليل و الأرضية التي تنطلق منها، أطروحات تقول بالالتحاق بالطبقة العاملة لأن أية إعادة للبناء و لأية منظمة كانت، لن يعمل إلا على إعادة إنتاج التجربة السابقة: بناء منظمة بوجوازية صغيرة تعتمد على الشبيبة المدرسية أساساً⁶.

الانتهازية، الإصلاحية منها و التصفوية، و لا يمكن أن يضع النقط على الحروف فيما يخص انهيارات مجموعة من الأطر و القادة خلال فترة الاعتقال، بل تحملهم المسؤولية في بعض الانحرافات التي عرفتها المنظمة، و التي تم تصنيفها في خانة الانتهازية اليمينية تارة، و الانتهازية اليسارية تارة أخرى.

إن اعتماد الكاتب على الماركسية – اللينينية، في الرد على التصفويين، هو مجرد سلوك انتهازية تضليلي دون قناعة حقيقية، سرعان ما ستتكشف حقيقته بعد ذلك، حينما تخلى عن الماركسية – اللينينية جهازاً، بعدما كان ذلك في السر، و ساهم في تصفية المنظمة، بعدما اتهم التيار التصفوي بذلك (سنتطرق لاحقاً لمسلسل تصفية منظمة "إلى الأمام"، في دراسة مطولة ستصدر لاحقاً). وأخيراً، نصدر هذه المقالة تعميماً للفائدة، من أجل فهم تاريخ المنظمة الماركسية – اللينينية المغربية "إلى الأمام"

2. يتعلق الأمر ببيان أصدره 52 من مناضلي المنظمة، أعلنوا فيه تجميدهم للعضوية داخلها، و ينتمي الموقعون على البيان إلى اتجاهات مختلفة، منها اتجاه المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري، و اتجاه عبد الله زعزاع و عبد الفتاح فاكهاني، و آخرون بدون انتماء لأي اتجاه.

3. بعد بضع شهور من صدور بيان يونيو 1979 المذكور أعلاه، أصدر مجموعة ممن سبق لهم أن وقعوا هذا البيان، و ينتمون إلى جماعة عبد الله زعزاع – عبد الفتاح فاكهاني، بياناً تصحيحياً جديداً يعلنون فيه عن اختلافاتهم مع باقي الموقعين، و قد حصل هذا بعدما تعرضت جماعة الموقعين لبيان يونيو 1979 للتفكك و الاندثار.

4. لا تتوفر على وثيقة "بيان التصحيح"، التي و لاشك أنها قابضة هناك لدى البعض، مما شاءت الظروف أن يتحملوا مسؤولية الحفاظ على الأرشيف.

5. المقصود هنا، أحد قادة ما سمي ب "إعادة البناء"، و التوقيع بمناضل هو فقط للتمويه، و لكون باقي القيادة، لم تتفق بعد على مضمون هذه الوثيقة ("إعادة البناء في مواجهة العفوية و الفوضوية") حيث سيتم إصدار صيغة معدلة عنها في مجلة "إلى الأمام" (تحت عنوان: "العفوية و الفوضوية: الطريق المسدود"، المجلة المغربية "إلى الأمام"، السلسلة الجديدة، عدد 4، غشت 1982).

6. شكلت أطروحة "الشبيبة المدرسية كمقدمة تكتيكية" المشجب الذي علقت عليه أطروحات الاتجاهات اليمينية و التصفوية و التحريفية الجديدة، و قد شكل نقد هذه الأطروحة ما يمكن تشبيهه بعبارة "حق أريد به باطل"، و من المعلوم أن هؤلاء النقاد لم يسبق لهم أن قدموا أي تقييم جدي لسياقها و مضمونها و انعكاساتها، داخل خط و تجربة منظمة "إلى الأمام" و الحمل.

و رغم أن أصحاب الوثيقة قصدوا منها مجرد توضيح لخلافاتهم الحالية مع بيان يونيو و قناعتهم السياسية و النظرية ، فإن ما أثاروه رأيت فيه خلافات جوهرية ، انطلاقا من مهمات المنظمة الراهنة ، و على رأسها مهمة إعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا ، و ما تشكله طروحات التوضيح من انحراف و خطورة ، هي الآن تجد رواجا لها في واقع الأزمة الحالية للحركة الماركسية-اللينينية المغربية⁷.

ب- و في إطار الصراع الديمقراطي الذي نرغب فيه على أساس ان يكون هادفا و بناء و رفاقيا ، أقوم بهذا الرد ، مساهمة في إجلاء بعض الغموضات التي تثيرها أطروحات فوضوية و تصفوية تتطلب التصدي الجماعي.

ج- و إن المنهج الذي سأتبعه في هذا الرد ، ينطلق من معالجة عدد من الطروحات في تسلسلها حسب التوضيح نفسه حتى يسهل على القارئ تتبع الأفكار الواردة في التوضيح و الرد عليها ، مستعملا على رأس كل نقطة عنوانا يهدف إلى إبراز نقطة عن أخرى ، و قد يلاحظ رفاقي الأعضاء ذلك غير ضروري ، ربما ، و لكنني اخترت ذلك لأسباب منهجية تقرب الموضوع من رفاقي.

د- و أخيرا إن نقدكم لما ترونه غير صحيح ، و ما قد أكون فيه مخطئا أمر ضروري ، بل و واجب كل مناضل منا حتى نتقدم في إنجاز مهامنا⁸.

1- الحركة النقدية: جذورها و انحرافاتهما

تشير التوطئة التي تحتل قرابة النصف من الصفحة الأولى ، أن بيان يونيو " جاء في شروط معينة من الصراع داخل المنظمة ، و في ظل تنامي حركة نقدية جنينية تجاه تجربة و وقائع المنظمة و الحركة الماركسية-اللينينية ، جسد هذا البيان حلقة من حلقات تطورها ، و مستوى معين من الوعي بأخطاء هذه الحركة السياسية النضالية"⁹.

إن هذه التوضيحات الأولية التي قام بها هؤلاء المناضلين منعتهم ربما من تحديد هذه " الشروط " المعينة " من الصراع داخل المنظمة و إبراز ما هي هذه " الشروط " التي تنامت فيها " حركة نقدية جنينية اتجاه التجربة ".

نسمح لأنفسنا هنا بإعطاء بعض التوضيحات الأولية حول هذه الشروط التي جاءت فيها هذه " الحركة النقدية الجنينية " ، و التي لم تكن إلا مرحلة "أرقى" من مراحل الوعي بالتجربة و بأخطاءها ، و سوف نحاول رسم الإطار السياسي الذي جاءت فيه هذه "الحركة النقدية".

عرفت الساحة السياسية منذ 1978 تناميا في نضالية الحركة الجماهيرية ، فنضالات الطبقة العاملة عرفت توسعا خاصة خلال 1978 ، قياسا بالسنوات السابقة ، فاتخذت طابع الاتساع و التضامن في بعض القطاعات ، كما كان الحال

7 . في الواقع لم يقدم لأصحاب بيان التصحيح و لا ناقدهم صاحب الوثيقة ("إعادة البناء في مواجهة التصفوية و الفوضوية") تقييما مقنعا لانتقاداتهم للتجربة ، بل كانوا جميعهم خلال التجربة التاريخية آنذاك معارضين لفكرة التقييم الشامل لتجربة المنظمة ، مما جعل خلافاتهم تظل مهزوزة ، و غير مؤسس لها بما يكفي من الجدية و الموضوعية و اتساح الحدود الفاصلة ، فخلال هذه الوثيقة سيقدم صاحبها العديد من التنازلات ، ذات الصلة بتجربة المنظمة لدعاة التصفية و العدمية ، في محاولة توفيقية ، لجرهم للعودة إلى المنظمة.

8 . تؤكد هذه النقطة ما جاء في الهامش (5) حول أسباب توقيع باسم "مناضل".

9 . كثيرا ما ينسب معارضو الخط الثوري لمنظمة "إلى الأمام" (التصفويون ، الإصلاحيون ...) لأنفسهم ، أسبقية نقد الخط السياسي أو التجربة ، و الحقيقة التاريخية ، تثبت أن مناضلي الخط الثوري ، خلال هاته الفترة من تاريخ المنظمة ، كانوا السابقين إلى بلورة تصورات نقدية لتجربة و خط المنظمة ، مع الدفاع عن الجوهر الثوري لخطها.

مثلا في مدينة المحمدية ، و دخول أهم القطاعات في إضرابات لا محدودة أو إنذارية ، كالسكك الحديدية و النقل الحضري. كما أن الفلاحين عرفوا بعض التحركات النضالية لمواجهة سياسة النهب و التشريد ، كما كان في حالة فلاحية تمارة. كما أن قطاع التعليم عرف تحركات نضالية هامة ، و خاض رجال الصحة والأبنك نضالات دفاعية هامة. كما سجلت بداية 1979 تحركات للشبيبة المدرسية ، بجانب الدفاع عن مطالبها ، كانت لها تحركات سياسية فوقت رافضة زيارة الشاه ، و أحييت ذكرى استشهاد سعيدة ، و تخلل هذه النضالات صراعات سياسية حول قيادة أ.و.ط. م. ، و المسألة التنظيمية بين الطلبة الاتحاديين و التيارات الأخرى المتحالفة معهم ، و بين القاعديين. و خرجت للوجود الكونفدرالية الديمقراطية للشغل التي تبنت عددا من النضالات خصوصا في التعليم و الصحة. كما أن الاتحاد المغربي للشغل وجد نفسه أمام المد الجماهيري ، و أمام ك.د.ش. ، مضطرا لتبني نضالات الطبقة العاملة ، و التعريف بأوضاعها المتردية و مطالبها المادية. و بالنسبة للنظام ، فلم يكن يسمح بهذه النضالات الجماهيرية ، بل حتى القطاعات التي استطاعت أن تنتزع مكاسب مثل (أو.ط.م: رفع الحظر) فلم يكل من العمل على إفراغها من مضامينها الديمقراطية و التقدمية. بل إن سياسة الجزرة و العصا ، المناورة و القمع ظلت هي القاعدة ، و اعتبارا للقمع هو الوجه الرئيسي في هذه السياسة.

و كان على الإصلاحية أن تسرع بين الحين و الآخر إلى " إبراز السلم الاجتماعي " و ارتباطه بتمتين " الجبهة الداخلية " و النقد الشكلي " للمسلسل الديمقراطي " و الصمت على نضالات الجماهير ، و توجيه العداء نحو الخارج و القوى الثورية ، و على رأسها منظمنا¹⁰ ، هذا في الوقت الذي عرف فيه النظام هزائم متكررة في حرب الصحراء عسكريا و دبلوماسيا و عزلة سياسية.

إن جدلية هذا الوضع: النضال و القمع ، تتعمق في ظروف تتميز فيه الحركة الثورية عموما و المنظمة بوضع ضعيف على جميع الأصعدة ، و بكلمة مختصرة في ظرف أزمة من جراء عمليات الإجهاض المتتالية من طرف النظام لضرب القوى الثورية ، و لتصفية مكتسبات الحركة الجماهيرية ، و من جهة أخرى فشل الخطوط السياسية و الإخفاق في إنجاز المهمات الرئيسية المطروحة على عاتقنا.

و على الصعيد الإفريقي و العربي و الدولي ، سجلت عدة تحولات سياسية يتقدمها كفاح الشعب الصحراوي و انتصاراته المتتالية العسكرية و الدبلوماسية و السياسية ، و انفضاح سياسة النظام الاستعمارية من خلال تدخلاته في الزاير و دول إفريقية أخرى.

و عربيا ، مواقف الخيانية من تأييده الخجول لمعاهدة " كامب ديفيد " و استقباله للسادات مباشرة بعد عودته من " كامب ديفيد " ، ثم استقباله للشاه المطلوب رأسه من الشعب الإيراني ، كما أن انتصارات الشعوب في إيران و نيكاراغوا ، و ما خلفه هذا من تأثير سياسي و فكري ، نظرا لأن القوى المناضلة في هذه البلدان ضد الدكتاتوريات بها ، انتصرت و هي في شكل جبهات شعبية و وطنية¹¹ ، و موقف نظرية العوالم الثلاث من الصراعات الدولية له هو الآخر ،

10 . عرفت هذه الفترة من تاريخ المنظمة الماركسية - اللينينية المغربية " إلى الأمام " ، هجوما واسعا من طرف القوى الإصلاحية و التحريفية ، مدعمة من طرف النظام ، حيث وصلت حد الكشف عن أسماء المناضلين ، بل و التحريض ضدهم و ضد المنظمة ، حيث رفعت شعارات تدعو إلى إخراج المنظمة من الجامعة الطلابية ، فرغ هؤلاء شعارات عديدة منها شعار " إلى الأمام سيري ف حالك الجامعة ماشي دياك " ، و سيجدون في الاتجاه الإصلاحية الذي ظهر داخل المنظمة ، كما في الأطروحات السياسية للتصفيين دعما مباشرا ، و هكذا تشكل موضوعيا حلف غير مقدس ضد المنظمة.

بجانب وضع الحركة الشيوعية العالمية و مشاكلها¹² ، تأثير لا يمكن نكرانه على العديد من الآراء و الطروحات داخل المنظمة لصيف 79 ، بجانب هذه التحولات السياسية ، هناك واقع التهميش الذي تعرفه المنظمة و الصراعات التي عرفت نتيجة للخلافات في تقييم الوضع السياسي و التجربة.

في هذا الإطار السياسي العام ، ازدهرت الصراعات داخل المنظمة ، و هذا أمر إيجابي جدا¹³ ، ساعد على خلخلة بعض مفاهيمنا التي اعتقدنا في صحتها طويلا (مثل سداة الخط السياسي في جوهره ، و نظرية الثورة في الغرب العربي ، و الخطة التكتيكية ، و المقدمة التكتيكية) كل هذه المفاهيم أصبحت ماثرا للنقاش ، و هذا إيجابي و سليم ، رغم الأساليب الخاطئة التي عرفها الصراع لكن أمرها ثانوي هنا¹⁴.

إن ما يسميه أصحاب التوضيح ب " الحركة النقدية " هو في هذه الحدود إيجابي ، لكن كيف تعامل العديد من مناصلي المنظمة مع الوضع السياسي الذي ذكرناه أعلاه ؟ كيف انعكس هذا الوضع العام للصراع الطبقي في بلادنا و العالم على مفاهيم العديد من مناصلي المنظمة في 1979 ؟ أو كيف تعاملوا من جهة مع هذا الوضع ، و من جهة أخرى مع وضع المنظمة الضعيفة ؟ سنعطي على ذلك أمثلة واضحة:

إن تنامي النضالات الجماهيرية (عمالا و فلاحين و برجوازية صغيرة عموما) لم يؤطر من طرف الحركة الثورية المغربية و خاصة المنظمة ، فالمنظمة إذن مهمشة ، و سبب فشالاتها هو سيادة خط انتهازي يساري¹⁵ ، يجب محاربتة لأنه أدى بالمنظمة إلى التركيز على الشبيبة المدرسية بدل إنجاز مهمة التجدر في الطبقات الأساسية: العمال و الفلاحون ، و إن هذا الخط السياسي هو السائد حاليا ، لأنه يعيد تجربة المنظمة التي فشلت ، فهو يعيد بناء منظمة داخل الطلبة و التلاميذ و يساريين متطرفين بشكل عام. و دفعهم هذا إلى الوقوف من الناحية السياسية إلى جانب الاتحاديين و التيارات الأخرى ، و هم حين يقومون بهذا العمل يعتبرون أن الخط السياسي الذي ساد في المنظمة –

11 . لقد كان هذا خلطا كبيرا ، ينم عن جهل بأجديات الفكر الماركسي – اللينيني ، و بتجارب الحركة الشيوعية العالمية ، بالإضافة إلى الجهل بحقائق الأمور ، سواء بالنسبة للثورة الإيرانية ، التي أدت إلى استيلاء "الملاي" بقيادة الخميني على السلطة في إيران ، مستفيدة من أخطاء الحزب الشيوعي التحريفي الإيراني "تودة" ، و الخطوط الانتهازية اليسارية التي سارت عليها تنظيمات ثورية آنذاك ، من قبيل "فدائيي الشعب" و منظمة "مجاهدي الشعب" ، أما التغني بتجارب أمريكا اللاتينية ، من قبيل تجربة الجبهة السندينية في نيكارغوا و غيرها من الجهات السياسية – العسكرية ، من قبيل "فرابانندو للتحريير" في السالفادور و مثيلاتها في العديد من دول أمريكا اللاتينية ، فكان ينم عن جهل كبير بتاريخ هاته الحركات و التيارات التي شكلتها ، و قد أثبت التاريخ طبيعتها التحريفية و الانهزامية ، و هنا لأبد من العودة مستقبلا لهذا التاريخ ، لأنه يمثل نموذجا للتحريفية اليسارية التي انتعشت بشكل كبير في ستينيات و سبعينيات و ثمانينيات القرن 20.

12 . لقد كان لموقف نظرية العوالم الثلاث ، بعض الأنصار داخل السجن المركزي ، و إن كانوا أقلية صغيرة ، لم تكن معروفة ، و سننشر لاحقا وثيقة لهذا التيار.

13 . لا يمكن الجزم بإيجابية هذا الأمر من وجهة نظر تاريخية ، إلا إذا كان لسبب وحيد هو إظهاره لوجود اتجاهات أو تيارات كانت تنتعش داخل المنظمة ، بعضها كان يعمل في الخفاء ، و البعض الآخر استغل الظروف التي كانت تجتازها المنظمة ، للمساهمة في الإجهاز عليها ، بعدما قدموا المنظمة على مذبح الجلادين طلبا لنجاتهم كأفراد.

14 . ينطبق على هذا الهامش ما ينطبق على الهامش (13).

15 . لم يقدم "أصحاب التصحيح" أي محاولة نقدية موضوعية ، لما سموه بخط الانتهازية اليسارية ، و هم في هذا لا يختلفون كثيرا عن التيار الإصلاحية بقيادة المشتري و المنصوري ، و لا عن الاتجاه التحريفي الجديد لأصحاب ما يسمى ب "إعادة البناء".

الانتهازية اليسارية- كان خطأ حلقيا اتجاه الأحزاب خاصة الاتحاد الاشتراكي ، و حتى يمكن محاربة هذا النهج السياسي القائم حاليا في المنظمة سيكون من المطروح العمل حاليا على إنجاز "جبهة القوى الثورية و الديمقراطية"¹⁶ من أجل الإسراع بالتخلص من "الانتهازية اليسارية" و التجدر داخل الطبقات الأساسية عن طريق هذه الجبهة ، التي يكون الاتحاد الاشتراكي من الناحية العملية ، و حسب هذا المنطق ، هو قائدها ما دام وضع المنظمة ضعيف جدا. لماذا "جبهة القوى الثورية و الديمقراطية" و ليس بناء الحزب البروليتاري كمهمة مركزية على الثوريين إنجازها ، يجب " رفاقنا " بأن الثورات نجحت في إيران و أسقط رموزا و لم يكن في هذه البلدان أحزاب بروليتارية قائدة¹⁷. إن "حركة النقد" هذه انجرت نحو منزلقات يمينية ، فحولت المهمة المركزية الملقاة على الثوريين – بناء الحزب- إلى مهمة تشكيل جبهة يكون الثوريون في ذيلها ، هذا لأننا كنا في السابق "حلقين" مع الأحزاب البرجوازية الصغيرة ، فبدل أن نبحت عن أسباب الأخطاء و نحللها لتصلب التوجهات السياسية للمنظمة ، يقوم "رفاقنا" من "حركة النقد" برمي المنظمة في أحضان البرجوازية الصغيرة و الاتحاد الاشتراكي ، لأن ظروفنا تاريخية من تنامي الصراع الطبقي فرضت على قيادته اليمينية الإصلاحية تبني بعض النضالات الجماهيرية.

إذا كانت منزلقات هذه "الحركة النقدية" سياسية ، كما مثلنا على ذلك أعلاه ، فإنها على المستوى التنظيمي أدت بأصحابها – لمواجهة الانتهازية اليسارية- إلى إعلان لتجميد العضوية من المنظمة ، و تصعيد حملة الإجهاز على مناضلي المنظمة ، و أدى ذلك إلى إخراج أسرار المنظمة بدعوى "الصراع الجماهيري" ضد قيادة المنظمة¹⁸. و لا ينبغي أن يفهم من هذا ، أن المنظمة خلال تجربتها لم يكن لها هي الأخرى أخطاؤها في هذا الصراع مثل أساليب الصراع الخاطئة من تصعيدات و بعض الأخطاء في تجسيد المركزية الديمقراطية ، لكن هذا لا يقلل من مجهودات المنظمة المتتالية من أجل حل المشاكل بانتهاج مرونة أكبر ، و اعتبارها أن الصراع الدائر في المنظمة صراع سياسي و إيدولوجي و لا يمكن حله إلا سياسيا ، و عدم لجوئها رغم الخروقات لأبسط مبادئ المركزية الديمقراطية و العلاقات التنظيمية من رفض للانضباط و اتهامات خطيرة لقيادة المنظمة ، رغم هذا لم تلجأ المنظمة لأي قرار تنظيمي ، لكن أصحاب "الحركة النقدية الجينية" ذهبوا بعيدا بتعميم آرائهم و خروقاتهم و إفشاؤهم لأسرار المنظمة ، مما اضطر المنظمة فيما بعد إلى اعتبارهم منسحبين بعدما رفض هؤلاء المساهمة في أي نقاش تقترحه المنظمة ، باعتبار أن آراء الجميع داخل المنظمة على قدم المساواة غاضين الطرف عن أخطر الأخطاء التي مارسها جزء هام من الذين يطلق عليهم و يطلقون على أنفسهم رواد "الحركة النقدية" في ضرب المنظمة¹⁹.

16 . سبق أن تطرقنا لسياق ظهور شعار "جبهة القوى الثورية والديموقراطية" (انظر كراسة "من وثائق الصراع داخل المنظمة الماركسية – اللينينية إلى الأمام" الجزء الأول).

17 . ينطبق على هذه النقطة ما ينطبق على هامش (11).

18 . استغل الانتهازيون ، الإصلاحيون منهم و التصفيون ، مبدأ سرية بعض وثائق المنظمة وقراراتها الداخلية ، للدفاع بشكل دماغوجي ، عن ما كانوا يسمونه بغياب الديمقراطية داخل المنظمة ، مبهر أن تلك الأسرار لا يعرفها الجميع.

19 . المعني هنا ، أولئك الذين كانوا ينتمون سابقا إلى قيادة المنظمة ، و عند اعتقالهم ، كانوا أول من سارع إلى إفشاء أسرارها ، و الإبلاغ عن رفاقها و مناضليها.

هذه هي "الحركة النقدية" التي يتحدث عنها أصحاب النقد ، و هي حركة في أطروحتها السياسية و نتائجها التنظيمية يمينية صرفة²⁰ . نعم للنقد الإيجابي و الهادف ، نعم للصراع السياسي و الإيديولوجي الديمقراطي ، نعم لكل مبادرة ثورية جريئة تشجع على التفكير وفق المبادئ الماركسية-اللينينية... و لا للنقد و الصراع إذا انطلق من منطلق ضرب الرصيد الكفاحي للمنظمة.

إن أصحاب التوقيع ينطلقون منذ البدء من أنهم لم يعودوا متفقين على بيان يونيه ، وأنهم طوروا موقفهم ، فهل كان هذا "التطور" في اتجاه الاقتراب من المنظمة أم الابتعاد عنها ؟ لنرى ذلك:

يعتبر التوضيح بأن "النقد الجيني" هو "أرقى نقد" ، يقول النص بالحرف:

"إن بيان يونيه كان حلقة في سيرورة و عي مجموعة من الرفاق بجذور أسباب واقع الحركة الماركسية-اللينينية المغربية التي تعيش أزمة كبيرة... و كانت ميزة هذه الحلقة الرقي في تفسير هذا الواقع من مستوى إرجاع أسبابه إلى غياب صمود مجموعة من الرفاق و الأطر أثناء الاعتقال²¹ و خطأ بعض الأطروحات السياسية المنحرفة ، أو بعض السياسات المتبعة في تجربتنا داخل الحركة الطلابية أو حركة التلاميذ... الخ... إلى مستوى طرح أسباب الأزمة التي تعيشها "إلى الأمام" ترجع أساسا لسيادة خط سياسي برجوازي صغير ذو طبيعة "انتهازية يسارية" (التشديد من طرفي).

هناك إذن "رقي في الوعي" ، "رقي" في تفسير أسباب الأزمة لدى هؤلاء الرفاق. إن أصحاب التوضيح يريدون مغالطتنا عندما يعتبرون "الحركة النقدية الجينية" هي التي جعلت الوعي يرقى إلى مستوى إدراك اننا مخطئين ، حينما اعتبرنا أن غياب الصمود هو سبب الفشل ، و الحقيقة أن أولى التقييمات للتجربة لم تكن تعتبر غياب الصمود بشكل مجرد و عام كان سببا وحيدا لفشل المنظمة في إنجاز مهماتها ، لكنها اعتبرت أن الفشل الرئيسي أت من عزلة التنظيم عن الجماهير و الابتعاد عنها ، و يأتي عدم الصمود كميزة في هذه التجربة²² . و لكن الذي جائت به التقييمات الأولية للتجربة ، و منذ زمان ، هو أنه لا يصح أن تفسر الانهيارات للعديد من الرفاق و القياديين منهم أساسا بخطأ الخط السياسي . إنه في رأيي ، عندما يبيع رفيق قائد المنظمة للعدو ، و يفصل في إفشاء أسرارها التنظيمية ، لا يمكنه أن يظل قائدا ، و لا حتى رفيقا عاديا داخل المنظمة ، لأن إهداء أسرار المنظمة لا يبررها كون خط هذه المنظمة خاطئ أو سديد ،

20 . هذا التصنيف غير دقيق ، فالتصفيون العفويون مثلوا على المستوى الإيديولوجي اتجاهها يسارويا ، و التقوا سياسيا مع أطروحات يمينية للتيار الإصلاحي ، و هذا التآرجح يعود لطبيعة التيار ، تيار برجوازي صغير.

21 . عموما حاول التصفيون ، و من قبلهم الإصلاحيون ، في سياق الدفاع عن أطروحاتهم المرتدة ، تشويه الموقف الثوري ، و اختزاله في الصمود أو عدم الصمود ، لتبرير أخطاء التجربة ، و مثل هذا الموقف لم يكن موجودا تاريخيا ، أما التعامل مع عدم الصمود من طرف مجموعة من الأطر و القادة ، فقد كان الاحتكام فيه إلى النظام الداخلي للمنظمة ، الذي ساهم العديد منهم في صياغته ، بل أن أحدهم هو صاحب وثيقة "حول الصمود" و يتعلق الأمر هنا بعبد الفتاح فاكيهاني ...

22 . إن تعامل أصحاب بيان "التصحيح" ، و من قبلهم الاتجاه الإصلاحي اليميني ، مع مبدأ الصمود بطرق مختلفة ، حسب اللحظة أو الفترة التي تم التطرق فيها إلى هذا المبدأ ، مثال قرارات يونيو 1977 ، التي رفضها زعماء اليمين الإصلاحي جملة و تفصيلا ، في محاولتهم الإبقاء على موقعهم في قيادة المنظمة ، بينما زعماء الاتجاه التصفوي اللاحقون فقد قبلوا تلك القرارات و اعتبروها سليمة ، بل اعترفوا بعدم صمودهم و تجسيدهم لخط المنظمة (مثال عبد الله زعزاع ، عبد الفتاح فاكيهاني ...) ، و في سياق ذلك كتبوا نقدا ذاتيا وجهوه إلى قيادة المنظمة ، بل بعضهم قدمه جماهيريا (مثال عبد الله زعزاع) ، لكنهم سرعان ما تراجعوا عن مواقفهم إبان الصراعات التي هزت المنظمة ربيع - صيف 1979 ، ثم قاموا بالتنظير لذلك.

لأن المسألة الأولى المشروحة في مواجهة العدو ، الحفاظ على المنظمة و التضحية في سبيلها ، و ليس التضحية بالمنظمة من أجل إنقاذ الذات. إن التوضيح يريد مغالطتنا إذن ، و نحن نورد هذه الحقيقة فقط التي يتناساها أصحاب التوضيح لتبرير هذا الذي يسمونه "الرقى" في تفسير أسباب أزمة المنظمة. هذا الرقى الذي لا يعني في جوهره غير التخلي عن مبدأ الصمود الذي تعز به المنظمة باعتباره أحد عناصرها الثورية.

وقع "رقى" في التفسير من "عدم الصمود" كسبب في فشل هذه التجربة إلى "الانتهازية اليسارية" كفشل كذلك. التفسير الثاني "أرقى" من الأول !!! شيء غريب حقا!

إن بيان يونيو²³ يجعل من سيادة الخط "الانتهازي اليساري" هو أصل المصائب. الأمر في نظري لا يختلف ، فإذا كان من يعتبر بأن فشل التجربة يرجع للخط السياسي لأنه خاطئ ، فهو حين يقول في يوم آخر بأن الخط السائد و الذي ساد في تجربة المنظمة هو "الانتهازية اليسارية" ، لم يحصل عنده أي "رقى" ، فإذا كان هناك خط "انتهازي يساري" فهو خاطئ. الفرق هو أنه في 1978 كان البعض يقول بخط الخط السياسي في جوهره ، و اليوم يقول "سيادة الانتهازية اليسارية". أي "رقى" طرأ على تفسير الأزمة؟! هناك إذن تراجع على أهم مكتسبات تجربة المنظمة: الصمود كحجر من أحجار الزاوية في خطها. و لقد استطاعت الممارسة أن تثبت بما لا يدع مجالاً للتردد على أن قادة "حركة النقد الجنينية" الذين "ارتقوا" في أسباب تفسير الأزمة ، هم الذين قدموا المنظمة بمزيد من التفصيل و الشرح لأجهزة البوليس²⁴.

إن "حركة النقد" لعبت دورا في إبراز مختلف الطروحات السياسية داخل المنظمة بكل تلاوينها ، و هذا أمر إيجابي جدا²⁵. و لكن انحراف "حركة النقد" إلى المنزقات التي مثلنا عليها ، نعتبر أصحاب بيان يونيو أخطأوا في المنطلقات و النتائج. و لا يزال سؤالنا مطروحا على أصحاب التوضيح الأخير أنفسهم الذين ينتقدون بطريقتهم بيان يونيو. سنحاول فهم مواقفهم أكثر من خلال النقاط التالية:

II- الحركة الماركسية-اللينينية المغربية حركة سياسية برجوازية صغيرة

ما هو الوعي الجديد الذي تبلور لدى رفاقنا أصحاب التوضيح؟ ينتقدون أولا بيان يونيو 1979 الذي يعتبر الحركة الماركسية اللينينية المغربية (الحلم) "تقاطبها الانتهازيتين اليمينية"²⁶ و اليسارية"²⁷ ، و الأخيرة هي الأخطر في المرحلة الحالية. أصحاب التوضيح يقولون: "أغلب اتجاهات الحلم منذ نشأتها ، و رغم الصراعات التي مرت بها ، و التناقضات التي عرفتها ظلت دوما تحمل تصورا متناقضا حول واقع الحلم ، ما بين اعتبارها حركة مثقفين ثوريين

23. المعني هنا "بيان يونيو 1979" المذكور أعلاه.

24. يتعلق الأمر بحقيقة تاريخية لا غبار عليها.

25. لا نشاط الكاتب هنا فكرته خاصة إذا وضعنا الأمور في سياقها التاريخي.

26. المعني هنا القيادة الجديدة لمنظمة "23 مارس" و خطها السياسي الجديد ، و هي المجموعة المعروفة ، التي ستتحلق فيما بعد حول جريدة "أنوال".

27. المقصود هنا منظمة "إلى الأمام".

ماركسيين- لينينيين من جهة ، و بين اعتبارها نواة أولى و مشروعاً لحزب البروليتاريا الثوري المغربي من جهة أخرى... و لذلك فإن بيان يونيو لم يخرج عن هذا التناقض".

إن أصحاب التوضيح إذن يختلفون مع بيان يونيو ، و اعتبروه لم يحل التناقض الذي كانت الحملم غارقة فيه ، ما هو البديل إذن ؟

يجيب التوضيح على ذلك من خلال تساؤلين : هل الحملم تشكل نواة الحزب البروليتاري المغربي ؟ أي هل تنظيمات الحركة الماركسية-اللينينية ، و تنظيمنا على رأسها في الظرف الراهن ، يمكنها أن تكون حجرة على طريق بناء الحزب ؟ هذا هو السؤال الأول ، و السؤال الثاني مرتبط بالأول ، هل الحملم حركة مثقفين ثوريين ؟ إن رفاقنا أصحاب التوضيح ينتهون إلى الجواب بأن الحملم حركة سياسية منفصلة عن البروليتاريا و معزولة عن الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة.

- ما هي الحثيات التي تؤدي إلى هذه النتيجة ؟

أ- "إن البروليتاريا ليست معطى مسبق و خارجي عن حركة البروليتاريا ، و لا يمكن أن تنبثق إلا من خلال نضالات البروليتاريا و من صفوف طليعتها الكفاحية ، و تشكل هذه النواة في صلب الحركة العمالية في ظل ارتباط عضوي فعلي بها"

ب- "الحملم حركة سياسية انبثقت من صلب الأحزاب البرجوازية الصغيرة ، و من نضالات الشبيبة المدرسية ، و ظلت مدى تجربتها تجد قاعدتها الاجتماعية و النضالية في هذه الشبيبة ، مفتقدة لأي موقع داخل الحركة العمالية"²⁸.
إن الإستشهادين المعروضين كحثيتين معناهما أن نواة البروليتاريا لا يمكنها أن تكون من الحملم ، فالمهمات الملقاة مثلاً على عاتق منظمنا ، و التي تصب كلها في المساهمة في بناء الحزب البروليتاري المغربي ، تكون حسب هذه الحثيات مجرد وهم. فالحملم حركة سياسية برجوازية صغيرة... الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين ، و ما دامت هي كذلك فلا يصح أن نقول على حركة برجوازية صغيرة مثل الحملم أنها ستعمل على إنجاز مهماتها التي على رأسها المساهمة في بناء الحزب البروليتاري.

لكن كيف يعتبر رفاقنا أن الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين ؟ يجيب رفاقنا: "أن أحد الخصائص الجوهرية للمثقفين الثوريين الماركسيين اللينينيين هو اندماجهم العضوي و الفعلي بحركة الجماهير ، ذات المصلحة الأساسية في الثورة ، و في مقدمتها الحركة العمالية".

"إن حركة المثقفين الثوريين لا يمكنها أن تكون حركة بروليتارية ، تحدد لنفسها إنجاز مهمات البروليتاريا بديلاً عن البروليتاريا نفسها ، و لا يمكنها كذلك أن تبني علاقاتها الداخلية على قاعدة التنظيم الحزبي البروليتاري ، لأنها لا تشكل حزبا للبروليتاريا".

استشهدت بما جاء به رفاقنا من حجج للدفاع على هذه المقولة:

"الحملم حركة سياسية برجوازية صغيرة" و "لا يمكنها أن تعمل على بناء حزب البروليتاريا أو المساهمة فيه" سنضع عنواناً للرد على هذا الطرح في صيغة سؤال:

28. إنها نفس الأطروحة التي جاء بها بيان الردة للإصلاحيين (انظر من وثائق الصراع داخل منظمة "إلى الأمام" ، الجزء الأول).

- الإشكالية العملية هي: كيف يتم الارتباط و الاندماج بين الحلم و حركة البروليتاريا المغربية؟؟

1- هل " نواة البروليتاريا معطى مسبق " و "خارجي عن حركة البروليتاريا"؟

أ- لنحدد أولا بأن البروليتاريا هي معطى له خصوصيته ، حتى يسهل علينا تحديد هل نواة البروليتاريا تنبثق من هذه الخصائص نفسها ، المتوفرة في واقع البروليتاريا المادي ، أم أن النواة البروليتارية معطى مسبق ، بمعنى أنه يأتي من خارج الطبقة العاملة ، يأتي بعيدا عن حركة البروليتاريا النضالية؟

• تميزت البروليتاريا بشكل عام في كل البلدان ، و في بلدنا كذلك ، بكونها الطبقة المعرضة للاستغلال أكثر ، بشكل مباشر ، و لأبشع صورته المادية و المعنوية ، مما يجعل هذه الطبقة تكون مؤهلة موضوعيا و تطمح لتغيير أوضاعها. فهي بحكم امتلاكها لسلعة واحدة هي قوة عملها ، و حرمانها من ملكية وسائل الإنتاج ، تكون لها المصلحة الأساسية و الأولى في الثورة. و البروليتاريا بوعيتها —عبر التنظيم السياسي المستقل — لمصلحتها كطبقة ، و بضرورة هذه الثورة ، لن تعمل إلا على خسران قيدها الذي يكبلها به مستغلوها و أعداؤها الطبقيون. كما أنها بحكم واقعها المتردي تحمل مشروع تجاوزه نحو مجتمع ينتفي فيه استغلال الإنسان للإنسان.

• من مميزات البروليتاريا ثانيا ، تواجدها في مراكز الإنتاج الرأسمالي العصرية ، مما يجعلها ترتبط بوسائل الإنتاج الأكثر تقدما. إن هذا العنصر يجعلها كذلك تكتسب خبرة تقنية ، مما يجعلها مؤهلة عبر الممارسة لاكتساب المعطيات الأولية للمعرفة العلمية ، التي تتطور بشكل ثوري ، مع تنامي و عيها السياسي الذي يفترض ضرورة الحزب المستقل لها. إن تواجدها في الوحدات الإنتاجية الرأسمالية الكبرى خاصة ، يفرض عليها أن تعمل جماعيا ، مما يجعل المعطيات الأولى الموضوعية للعمل الجماعي المنظم ممكنة ، و ما يفرضه هذا العمل الجماعي من إمكانيات للإنضباط ، و إعطائه عبر التنظيم دوره الثوري. إن هذا يؤهلها لخلق و ابتكار أشكال راقية من التنظيم تعتمد على المركزية الديمقراطية.

• إن مميزات البروليتاريا ثالثا ، أنها كطبقة يرتبط تحريرها لنفسها من الاستغلال و الاضطهاد ، باعتبارها الطبقة الثورية حتى النهاية ، بتحرير المجتمع بكل طبقاته الوطنية و فئاته المناهضة للامبريالية و الكمبرادور و الملاكين العقاريين ، و لذلك فنضالها مرتبط حتما بمختلف الطبقات و الفئات الوطنية في المجتمع ، و التي على البروليتاريا أن تقود هذا النضال في إطار مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية (ث.و.د.ش).

• من مميزات البروليتاريا رابعا ، هو أنها بحكم ارتباطها بنمط الإنتاج الرأسمالي السائد عالميا ، يجعلها تدخل خندق البروليتاريا العالمية المعادية للامبريالية و استغلالها للشعوب.

ب- إن تحرير هذه البروليتاريا من القمع و الاستغلال و الاضطهاد يفرض بالضرورة وعي هذه البروليتاريا و تجديرا للإيديولوجية الثورية داخلها ، و التفافها حول هذه الإيديولوجيا الثورية التي هي إيديولوجيتها ، لأن هذه الإيديولوجيا ليست إلا التعبير النظري على وجودها كطبقة و موقعها في نمط الإنتاج الرأسمالي ، هذه الإيديولوجيا هي الماركسية — اللينينية كما يقول "بتلهاميم"²⁹.

29 . انظر كتاب " حول بعض قضايا الاشتراكية " الذي ألفه شارل بتلهاميم ، بشكل مشترك مع الاقتصادي الأمريكي بول سوزي ، و شارل بتلهاميم له مؤلفات كثيرة أشهرها "الصراعات الطبقة في الاتحاد السوفياتي".

إن الماركسية - اللينينية لها أسسها المادية في واقع البروليتاريا ، و لذلك بالضبط كان لهذه النظرية الثورية تلك القدرة على الالتحام بالطبقة العاملة بسرعة خارقة ، إذا ما توفرت الشروط الموضوعية و التناقضات التي تعيشها البروليتاريا درجة معينة من الحدة.

إن البروليتاريا بحكم واقعها و الاضطهاد الممارس عليها ، تلجأ إلى أشكال من "التنظيم" لقوتها للدفاع عن مصالحها ، و لكن هذا التنظيم ، ليس في حقيقته إلا نوعا من التحقيق العفوي للإيديولوجية البروليتارية ، تنظم نفسها لأن ذلك مفروض عليها لتواجه شروط الاستغلال ، و لبيع قوة عملها في شروط أفضل ، هذا النوع من التنظيم يكون عفويا و غير صلب ، لا يكون قادرا على الاستمرار بحكم انعدام الرؤية الواضحة لمصالحها الطبقيّة كطبقة تواجه طبقة مضطهدتها الرأسماليين. و التجربة النضالية للطبقة العاملة في بلدنا أبرزت ذلك بشكل واضح في نضالات عمال مناجم خريبكة و جرادة ، حيث كان العمال يخلقون في هذه القلعات أشكالاً من التنظيم في صيغة لجان عمالية تسير الإضراب ، و تعمل على إنجاحه ما أمكن ، تجاوزا لمناورات البيروقراطية النقابية و إدارة هذه المؤسسات ، و لكن سرعان ما ينتهي هذا الشكل من التنظيم بانتهاء الظروف التي فرضته مؤقتا ، أو عندما تخف حدة الصراع نسبيا. و إن المسلسل النضالي الذي مرت به الطبقة العاملة المغربية رغم تجاوزه في بعض الشعارات و الأشكال النضالية للبرجوازية ، لم يحقق في الحقيقة استقلاليتها السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية ، و لم يؤد بنضالاتها إلى تجاوز سقف النضال الاقتصادي كما تنظر إليه البرجوازية و التحريفية في بلادنا.

إن تجاوز هذه الهشاشة و هذه الصفة المؤقتة ، و تحقيق استقلالية الطبقة العاملة سياسيا و إيديولوجيا ، هو ما يعطي هذا الدرس العظيم و الضروري لنجاح الثورة: الحزب. هذا الجهاز الإيديولوجي و السياسي البروليتاري المتميز ، حزب ماركسي - لينيني يحمل الإيديولوجية البروليتارية.

إننا نعتبر أن النواة البروليتارية ليست معطى مسبق ، بل هي كامنة في الواقع المتحرك للطبقة العاملة و نضالها ، لكن كيف يمكن للبروليتاريا إدراك ذلك ؟ كيف يمكن الرفع من مستواها النضالي العفوي ليصبح نضالا سياسيا واضحة مراميها الطبقيّة ؟ كيف تتوصل البروليتاريا إلى الإدراك العقلي لأهمية التنظيم و الحزب المستقل ، و تجاوز إدراكها الحسي بخلق أشكال هشة مؤقتة تفرضها ضرورة النضال الاقتصادي ؟

هذا هو المشكل إذن ، يسجل هذا التوضيح رؤيتي إلى النواة البروليتارية. لأن الجواب عليها سيكون ناقصا ما دام أصحاب التوضيح يعتبرون "إلى الأمام" و الحملم عموما ليست حركة مثقفين ثوريين ، و هو ما أرفضه تماما.

2- يقول التوضيح: "الحملم حركة سياسية انبثقت من نضالات الشبيبة المدرسية" و "من صلب الأحزاب البرجوازية الصغيرة" و يقول أيضا "الحملم ليست حركة مثقفين ثوريين ماركسيين - لينينيين ، و إنما هي قوة سياسية تعتمد على قاعدة اجتماعية محددة تكمن في الشبيبة المدرسية و تعيد إنتاج نفسها".

إن أصحاب التوضيح في دفاعهم عن حل التنظيمات الماركسية-اللينينية المغربية ، كما سنوضح ذلك بعد قليل ، لم يكلفوا أنفسهم تحليل الأسباب التي أدت بهم إلى "الإزدهار" الذي عرفته التجربة داخل هذا القطاع ، و يكتفون بتسطير "الحملم قوة سياسية برجوازية صغيرة" ، و سنحاول هنا إعطاء خطوط أولية أو أفكارا عامة حول هذه الظاهرة.

إن الواقع الاجتماعي لفئة الشبيبة المدرسية واقع غير متجانس ، و هي بشكل عام تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة (الطلبة خصوصا) ، و هي تدخل ضمن الجماهير الواسعة للبرجوازية الصغيرة ، أي تلك الطبقة التي لا يمكن أن تحقق مصالحها الموضوعية إلا بانتصار ال "ث.و.د.ش تحت قيادة البروليتاريا.

و تتميز الشبيبة المدرسية بكونها ذات حساسية أكبر للصراع الإيديولوجي من بقية الفئات الأخرى من البرجوازية الصغيرة. و هذه الصراعات ليست رغبة ذاتية أو نتيجة لأعمال فردية ، بل ، هي تعبير عن آراء و مواقف تيارات سياسية تعبر عن نفسها في كثير من الأحيان بشكل منظم ، و هي تعكس مصالح موضوعية لطبقات اجتماعية أو شرائح فيها. و في هذا الإطار العام ، و في ظروف تاريخية دقيقة اجتازها الصراع الطبقي بالبلاد ، يمكن فهم تشكل ما يطلق عليه بالحلمم في نهاية الستينات. و يمكن تلخيص هذه الظروف التاريخية كما يلي:

• على الصعيد الوطني:

- الأزمة التي عرفتها الطبقة الحاكمة في إعادة تهيكلها كطبقة مرتبطة بنمط إنتاج رأسمالي تبعي ، و أزمة الامبريالية نفسها من جهة ، و مرتبطة بالتوسع المتسارع في نهاية الستينات للملكية العقارية الرأسمالية الكبيرة. - مقاومة الجماهير الفلاحية لهذا التوسع.

- النضالات الأولى للطبقة العاملة في 1968 بعد فترة الركود الطويلة التي عرفتها تحت هيمنة البيروقراطية النقاوية.

- الظهور الجديد لنضالات الشبيبة المدرسية في 1968 و بعد أن استخلصت تيارات سياسية بعض الدروس من

إفلاس القوى الإصلاحية بعد مارس 1965.

• على الصعيد الخارجي:

- بروز المقاومة الفلسطينية في مقدمة الثورة العربية بعد إفلاس البرجوازيات العربية في يونيو 1967 ، و بروز

تنظيمات داخل المقاومة الفلسطينية تستند على الماركسية اللينينية.

- المكتسبات التي حققتها البروليتاريا الصينية من خلال نجاح الثورة الثقافية في الصين و تأثيرها على العديد من

الثوريين في عدة بلدان.

إن هذه الظروف سهلت عملية تشكيل منظمات ذات طموح ثوري و مكونة أساسا من مثقفين و طلبة و تلاميذ

يتبنون الماركسية-اللينينية. و هذا لا يعني أنها قاعدة اجتماعية قادرة على عكس النتائج التي يصل إليها أصحاب

التوضيح ، و ذلك لسبب رئيسي هو أنه يستحيل البناء الصلب لتشكيلة سياسية و اجتماعية على قاعدة الشبيبة

المدرسية ، لأنها هي نفسها لا تكسب قاعدة مباشرة و قارة في الإنتاج و علاقات الإنتاج.

أقول ببساطة ، بأن هذا الوضع لم نكن نمتلكه في 1970 عند النشأة ، و لقد كانت مختلف التيارات المتواجدة في

هذه التنظيمات تظن أنها ستتمكن بدون صعوبات كبيرة من تحقيق ارتباط بالجماهير الأساسية (العمال و الفلاحون).

و لم تكن الخلافات حول أية طبقة يمكن إعطاؤها الأولوية و الأهمية الأكثر. الطبقة العاملة؟ أم الفلاحين؟ كما أن

شكل العنف الثوري هو الانتفاضة أو الحرب الطويلة الأمد ، و دور العنف في عملية الثورة بشكل عام ، و العلاقة بين

الحزب و الجماهير حول عملية بناء الحزب ، لم تكن هذه القضايا و الخلافات حولها لتظهر إلا بشكل ثانوي في دينامية

و حيوية نشوء تنظيمات كانت بالفعل تعتبر نفسها ماركسية-لينينية ، من خلال القطيعة التي أعلنها مناضلوها مع

الإصلاحية و التحريفية.

إن فئات البرجوازية الصغيرة التي ينبثق منها هذا الجزء من الشبيبة المدرسية ، لا يمكنها حل التناقض الرئيسي

في المجتمع الذي لها مع العدو الطبقي للشعب إلا إذا وضعت نفسها تحت قيادة البروليتاريا ، في العملية التي تؤدي

إلى الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية.

إن تنظيمات المثقفين الثوريين المتبنين للماركسية-اللينينية تجمع أساسا مثقفين و مناضلين من الشبيبة

المدرسية الذين توصلوا إلى الوعي التاريخي بهذه الحقيقة الموضوعية.

إن التناقض الذي يجب أن تحله هذه التنظيمات هو التالي: إن القاعدة الاجتماعية التي تركز عليها لا يمكنها بنفسها ، و خلافا لما كان سائدا لدينا في بداية السبعينات أن تلعب دورا محركا في الصراع الطبقي ، لأن هذه القاعدة التي تسجل بأنها موضوعيا ثورية تتأثر بشكل عام في نضالها بنضال مجموع الشعب ، و تتأثر بشكل خاص بمنوعات البورجوازية الصغيرة ، و تكون معرضة للانحرافات ، يمينية و يسارية. و نعتقد بأن الأسلوب الوحيد لتجاوز هذا التناقض هو بناء منظمة صلبة من المناضلين الثوريين المتمرسين بالنضال تحت نيران العدو ، و هؤلاء المناضلين الذين يتخلون عن جوهرهم البورجوازي الصغير ، و يستطيعون من خلال الممارسة إنجاز عملية التجذر في الطبقة العاملة و الطبقات الأساسية ، و على أساس نظرة سديدة لعملية بناء الحزب البروليتاري ، نظرة سديدة لطبيعة هذا الحزب نفسه في ارتباط مع العمل داخل الجماهير.

إن هذا الفهم هو الذي يرفضه رفاقنا أصحاب التوضيح دون أي تحليل لخصائص الشبيبة المدرسية و المثقفين الثوريين في بلادنا ، و كيف يمكن تجاوز الأخطاء السابقة.

"الخاصية الجوهرية للمثقفين الثوريين الماركسيين – اللينينيين هو اندماجهم العضوي و الفعلي بحركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة. و لا يمكنها أن تشكل خارج الحركة الجماهيرية" هكذا يقول التوضيح ، و هو لا يأتي بجديد لأن خاصية المثقفين الثوريين الماركسيين – اللينينيين هي حقا العمل و الارتباط بالجماهير و الاندماج الفعلي بها ، و الجماهير الأساسية منها.

كما نعتبر أن هؤلاء المثقفين الثوريين ليس من حقهم و لا يصح مطلقا أن ينصبوا أنفسهم كبديل عن البروليتاريا ، فهم ليسوا أوصياءا عليها ، و لا يصح مبدئيا أن يكونوا كذلك ، هذا صحيح تماما ، لكن خلافا لرفاقنا أصحاب التوضيح ، نعتبر أن الحركة الماركسية-اللينينية حركة مثقفين ثوريين ، و نعتبر منظمنا منظمة ثورية تتبنى الماركسية - اللينينية ، مهما كانت الأخطاء و الانحرافات في التعامل مع النظرية الثورية كمنهج و مرشد للعمل ، و لا يزال مطروحا عليها رغم الفشالات التي هي فشالات مؤقتة أن تسير في اتجاه تصليب نفسها من خلال إنجاز مهماتها في التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين و حسب واقعها الذاتي و طاقاتها.

و كخلاصة لهذه النقطة التي كان عنوانها الكبير الحركة الماركسية-اللينينية المغربية حركة سياسية بورجوازية صغيرة. نقول إن النواة البروليتارية لا يمكنها أن تبزغ بين عشية و ضحاها و بشكل عفوي من داخل الطبقة العاملة و نضالها الاقتصادي المحدود. فإذا كانت هناك إمكانيات هائلة داخل الطبقة العاملة لتبني الفكر الثوري و تحقيق إديولوجيتها ، فإن هذا الأمر يتطلب من التنظيم الثوري المتبني لإديولوجيا الطبقة العاملة ، و من خلال الممارسة داخل الطبقة العاملة ، و الارتباط العضوي بها و الاندماج بطلائعها ، أن يساهم فعلا في تقدم مسلسل بناء الحزب البروليتاري و ذلك من خلال النضال و التنظيم داخل البروليتاريا. هناك عمليتان تسيران في اتجاه فرز النواة البروليتارية فلنبسطهما على الشكل التالي:

1) واقع الطبقة العاملة:

و يتضمن:

- الاستغلال كنتيجة لعلاقات الإنتاج و ما يوفره ذلك من إمكانيات و طاقات و رغبة حسية و وعي حسي في الانعتاق و التحرر.

- الارتباط بوسائل الإنتاج المتقدمة و ما يوفره من إمكانيات و من استعداد للتنظيم و الانضباط.

- العمل الجماعي و ما يوفره من وعي حسي بضرورة الوحدة و النضال.

2) تنظيمات المثقفين الثوريين الماركسيين-اللينينيين

- التبنى للنظرية الثورية و التشبت و الاهتداء بها ، و ما يوفره ذلك من التحام بالطبقة العاملة باعتبار الإيديولوجيا المتبناة من طرف هذه التنظيمات هي إيديولوجيا البروليتاريا .
- المساهمة السياسية المرتبطة بالممارسة لمواجهة هيمنة الفكر البورجوازي على الطبقة العاملة ، و شحذ هذه الأخيرة لتمسك بسلاحها النظري و التنظيمي و السياسي و تطوير وعيها الطبقي .
- الاستعداد المتوفر لدى هؤلاء المثقفين الثوريين و تنظيماتهم للممارسة ، من خلال التجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين .

إن الالتقاء و الاندماج بين هاتين العمليتين في النضال و الصراع الطبقي و بارتباط مع نضال كافة الشعب و فئاته الوطنية ، يوفر إمكانية بروز نواة البروليتاريا ، التي ليست مشكلتها مشكلة معطى مسبق أو معطى موضوعي قائم ، بل هو نتيجة كفاح و نضال .

III-الحركة الماركسية-اللينينية المغربية لن تتجذر؟!...

هذا العنوان اخترناه لإبراز جانب آخر في رؤية أصحاب التوضيح ، فإذا كان الجانب الأول متعلق بالأساس الطبقي و التحديد السياسي ، فإن هذا الجانب التنظيمي الذي ندخل فيه الآن يخص الجانب التنظيمي و جانب العلاقات الداخلية لتنظيمات الحمل و المنظمة خصوصا ، سنحاول الرد على أهم ما جاء في هذه النقطة .

"إن الحركة الماركسية اللينينية المغربية هي حركة بورجوازية صغيرة نظرا لعلاقتها الداخلية البيروقراطية و تنظيمها النخبوي و الشبكي ، و بالنظر لعلاقتها مع الجماهير ذات الطبيعة الفوقية و الحلقية ، و بالنظر لتوجيهاتها السياسية و الإيديولوجية التي حددت مشاريع ثورية ذاتية و جاهزة ، تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة"

إن تجربة المنظمة في ميدان العلاقات الداخلية هي الأخرى كانت محملة بمضامين خاطئة حول المركزية الديمقراطية ، فغلبت المركزية تحت ضغط و شروط العمل السري و صعوبة النقاش الديمقراطي الواسع ، في واقع التجربة ، هذا واقع موضوعي لا ننكره ، و لكن لا يبرر التركيز على المركزية لدرجة البيروقراطية .

ففي تجربة المنظمة لم يكن الصراع السياسي و الإيديولوجي الديمقراطي الواسع يخترق عموم المنظمة عموديا و أفقيا في كل القضايا السياسية التي تهم المنظمة و الثورة ، و لا يعني هذا أن الصراع و النقاش كان منعزلا ، بل على العكس ، كانت هناك صراعات سياسية ، لكن لم تعمم على مستوى عموم المنظمة لإبداء الآراء حولها ، و لقد مارسنا هذا الفهم و نحن مقتنعين بأطروحة وحدة المنظمة: وحدة الفكر و الإرادة و وحدة الممارسة³⁰ .

و هذا الفهم صحيح إذا اعتمد على الوحدة المبنية على الصراع الإيديولوجي و السياسي . في هذه العلاقات الداخلية مارست عمليا دور المقرر ، القيادة بشكل عام ، و دور المنفذ ، الباقون من إطارات المنظمة³¹ . كيف يمكن تثوير هذه العلاقات التي لنا و عي بخطئها ، من خلال عملية ارتباطنا الوثيق بالجماهير ، و كيف كنا نسير في اتجاه بناء خط

30. هذه النظرة المونولوتزمية كانت سائدة داخل الكتابة الوطنية للمنظمة ، بينما كان العديد من الرفاق يحاولون إعطاء الرأي ، أو فتح نقاش حول قضايا مختلفة كلها سنحت الظروف لذلك ، إلا أن الكتابة الوطنية ، هي من كان يقوم بخنق تلك الأفكار و الآراء ، و الشواهد التاريخية على ذلك متوفرة .

سياسي جماهيري؟ إن داخل المنظمة كانت تسود نظرة مثالية لاجدية للوحدة السياسية والإيديولوجية ، وحدة بدون تناقض. وهذه الوحدة كانت تجد تبريرها النظري في نموذج الحزب ذو الفكر الوحيد الذي كانت تمرره الأهمية الثالثة³². إن الأساس الموضوعي لهذه النظرة المثالية هي التي تجعل المثقف البورجوازي الصغير يضع الفكر فوق الواقع الملموس الذي لا يمكن تلمسه إلا انطلاقاً من الممارسة النضالية وسط الجماهير. إن هذه النظرة التي تجعل الفكر متفوقاً على الممارسة ، و بالتالي سمو التنظيم على الجماهير ، و داخل المنظمة سمو أو تفوق القيادة على القواعد. و لقد كان هذا صحيحاً بالنسبة للعديد من قياديين أو مناضلين قاعديين.

هل كنا ننظيمها شبكياً نخبويًا؟ كما جاء في الاستشهاد الذي انطلقنا منه في هذه النقطة. في مارس 1973 انتقد التنظيم بشدة حركة البلانكيين في نص "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحملم"³³ لأنها حركة اعتمدت الشبكية و لم تعتمد على الجماهير في توجيهها السياسي و الإيديولوجي و العملي. و ليس معنى هذا أننا من الناحية العملية كنا قد تجذرنا وسط الجماهير عموماً ، بل إن النتائج العملية التي وصلنا إليها في هذه التجربة ، من بينها في تقييمي الخاص ، أن المنظمة كانت تنحى منحى منظمة شبكية. فالمسألة التنظيمية كتجسيد لتوجهات سياسية ، أدت في شروط القمع و اشتداده إلى تزايد عدد المناضلين الذين يدخلون في السرية و ممارسة نوع خاطئ من الفهم للاحتراف الثوري. حيث أصبح من الناحية العملية كل من يدخل السرية يبتعد بالتدريج عن عمله المباشر وسط القطاعات التي كان يعمل بها (عمالية أو فلاحية أو شبيبية)³⁴.

و لقد عمق هذا الابتعاد عن الجماهير أخطاء الهيكلية التنظيمية ، و قد يكشف تقييم التجربة عن جزئية أو شمولية هذه الخلاصة مستقبلاً ، لكن الممارسة التي عاشها العديد من المناضلين تصل إلى أن المنظمة كانت تنتفخ بعدد من "المحترفين" الذين ألجأهم القمع إلى ذلك ، و يبتعد المناضل بالتدريج عن الجماهير.

هل كانت سيرورة المنظمة ستقبل هذا الوضع؟ إن الجواب سيكون رهينا بمدى وعي المنظمة بخطأ التوجه الذي حدد تلك الهيكلية من خلال الممارسة داخل الجماهير ، و هذا ما لم يتوفر و بالقدر الكافي في تجربة المنظمة. هل كانت لنا علاقات فوقية مع الجماهير؟ بشكل عام جداً و فضفاض نقول نعم. في تعاملنا و تعامل الحركة الماركسية-اللينينية المغربية مع جماهير الشبيبة المدرسية ، كان هذا واضحاً بالنسبة ل "إلى الأمام" و "23 مارس" ، فدعوتنا الفوقية لبناء "النقابة الوطنية للتلاميذ" و قيادتها التي كانت كلها من أطر هذه التنظيمات مثال ساطع³⁵. و لكن هل في عملنا داخل الأحياء و داخل الطبقة العاملة و الفلاحين كانت هذه العلاقات فوقية؟ لا نعتقد ذلك بحكم التجربة المتناقضة و المتنوعة لنا في هذه القطاعات. هل كانت العلاقات النخبوية و الشبكية و الفوقية نتيجة

31. كانت الكتابة الوطنية تقوم بالتمييز بين الرفاق والأطر حسب ولائهم لها أو معارضتهم ، مما جعل العديد من الرفاق يعانون من التهميش ، مع أنهم كانوا أطراً مجربة و كفأة ، و ذات رصيد نضالي مهم.

32. إن هذا الادعاء ، و بدون تمييز ، يجعل من الأهمية الثالثة مسؤولة عن نشر هذا التصور البيروقراطي للعلاقات التنظيمية ، علماً أن القيادة اللينينية للأهمية الثالثة لم تميز بمثل هذا الرأي ، هذا على الأقل ...

33. سبق لموقع "30 غشت" أن نشر هذه الوثيقة (انظر "الوثائق الأساسية لمنظمة "إلى الأمام" ، الخط الثوري ، الجزء الأول).

34. لم يتطور هذا الاتجاه إلا بعد فترة يناير 1975 - مارس 1976 ، و ذلك في ظروف سياسية و تنظيمية مرت بها المنظمة ، و تحمل مسؤوليتها آنذاك جزء ممن سمو أنفسهم بالحركة النقدية الجينية ، الذين وقعوا على بيان يونيو 1979 ، و من بينهم المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري.

35. لقد سبق أن تطرقنا لتجربة النقابة الوطنية للتلاميذ ، و جزء من هذه التجربة يدحض هذا الطرح.

للتوجهات السياسية و الإيديولوجية ؟ نقول هنا لقد اصبح الوعي حادا بخطأ التوجهات السياسية التي سار عليها التنظيم ، أو على الأقل مراجعة العديد من جوانبها و طروحاتها.

هل هذه التوجهات السياسية حددت " مشاريع ثورية ذاتية و جاهزة تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة..." كما يرى أصحاب التوضيح ؟

نتساءل في البداية ، ما هي هذه المشاريع الثورية و الجاهزة ؟ هل مقولة بناء الحزب البروليتاري المغربي مقولة قبلية جاهزة تفرض قسرا على البروليتاريا المغربية ؟ هل تحديد " العنف الثوري " فرض قسري على البروليتاريا ؟ هل بناء التحالف العمالي - الفلاحي مشروع ثوري ذاتي و جاهز؟³⁶ هي جاهزة في نظر التوضيح و ذاتية لأنها تبلورت خارج حركة البروليتاريا المغربية. رغم العلم بأنها إحدى الدروس الأساسية في نجاحات البلاشفة و الثورة الصينية.

و إذا كانت الأطروحات النظرية استراتيجية كانت أم تكتيكية ، مبادئ ماركسية- لينينية أو إسهامات ثوريين مثل ماو ، تعد في نظر أصحاب التوضيح مشروعا ثوريا جاهزا و ذاتيا . نحن نقول: إن البروليتاريا كطبقة ثورية لا يمكن لنضالها الاقتصادي العفوي أن يتحول إلى نضال طبقة تدرك مصالحها كطبقة ، مصالحها المعادية و المناهضة لطبقة مستغليها إلا بامتلاكها لسلاح التنظيم و سلاح النظرية الثورية ، إن تحررها من الاستعباد و القهر و تحرير المجتمع معها و الإنسانية ، لن يتم بتكسير الآلات و الإضرابات الطويلة النفس. إن هذا لوحده لا يكفي أبدا ولم يكن ليكفي ، فضرورة تجذر الإيديولوجية الثورية داخل البروليتاريا و عن طريق المثقفين الثوريين و تنظيماتهم المندمجة بها اندماجا لا يقبل الانفصام ، و عن طريق طلائع هذه البروليتاريا أمر حيوي ، و من ينتقص من ذلك لن يخدم البروليتاريا.

إنني لا أتفق مع هذا المفهوم الذي أعطاه رفاقنا أصحاب التوضيح للمثقف الثوري. فهو لكي لا يكون بديلا عن البروليتاريا عليه أن لا يحمل أي مشروع لبناء الحزب البروليتاري ، عليه ألا يفكر و يمارس أو يتمرس على العلاقات الداخلية التي ينبغي أن تحكم العاملين في حزب البروليتاريا مستقبلا ، عليه ألا يمارس المركزية الديمقراطية و ألا يطالب بالانضمام إليها ، عليه في الأخير أن يبتعد عن كل قالب تنظيمي ما دام هذا المثقف الثوري ليس في حزب البروليتاريا الذي لم يولد بعد ، و لكي يمارس ذلك ، عليه أن ينتظر ما دام الحزب لم يولد بعد.

إن فهمنا للتجربة السابقة لا يصح أن يولد عندنا رد فعل على عدم إمكانية التجذر من داخل تنظيمات ماركسية- لينينية. فرفاقنا ينتقدون العلاقات الداخلية في صفوف المنظمة و بين هذه الأخيرة و الجماهير ، لينكروا فيما بعد أهمية المبادئ الماركسية - اللينينية التي تحكم التناقضات الداخلية ، و يضربون عرض الحائط كل رصيد المنظمة و التجربة الثورية للحركة العمالية العالمية.

إن خلافا مع هذه النظرة عميق جدا ، فهو خلاف جوهرى حول تحديد المهمة الآنية المطروحة على المنظمة و الثوريين الماركسيين- اللينينيين عموما ، هو خلاف حول هل يمكن بناء منظمة ماركسية لينينية تتجذر داخل الطبقة العاملة و الفلاحين و بقية الجماهير ، أو حل التنظيمات و الارتقاء في أحضان البروليتاريا لتبني هي حزبها مباشرة. إن هذا الفهم يجعلنا نحني بإجلال أمام عفوية النضال العمالي من غير أن نفهم بأن هذا المد العفوي " يتطلب وعيا عاليا من العمل السري و السياسي و التنظيمي " كما قال لينين في " ما العمل؟ "

36. يتعلق الأمر هنا بخلط بين الحقائق العامة للنظرية الماركسية - اللينينية ، و بين النظرية الثورية الملموسة ، التي تساهم النظرية الماركسية - اللينينية في بلورتها ، و يدخل في هذا السياق ، العمل من أجل بلورة وعي سياسي طبقي ملموس للبروليتاريا ، في بلد محدد و في مرحلة محددة ، باختصار ، بلورة نظرية للثورة في هذا البلد.

إن الأسس التي اعتمد عليها رفاقنا في سحب الدور الذي يمكن أن تلعبه التنظيمات الثورية الماركسية – اللينينية الحقيقية في تجذير الوعي البروليتاري و تمرسها و بلترتها هي الأخرى داخل هذه العملية من الاندماج و الارتباط و الممارسة النضالية ، و اعتبار التنظيمات فقط بورجوازية صغيرة و لا يمكن أن تعيد لإنتاج تجربتها. إن هذا الفهم قاد رفاقنا إلى نظرة تصفوية لتجربة المنظمة و الحركة ، و إلى تقديس العفوية العمالية في النهاية و سيفصح التوضيح عن نفسه أكثر فيما بعد .

IV لنحارب كل الانحرافات داخل المنظمة و الحركة الثورية عموما

يستمر التوضيح كاشفا جذوره الإيديولوجية أكثر عندما يتعرض في جزء منه إلى نقد بيان يونيو الذي يصف المنظمة و خطها بكونه "انتهازي يساري".

يقول التوضيح: "إن تحديد الانتهازيتين (اليمينية) و (اليسارية) داخل الحركة العمالية يعتمد على مقياس الخط البروليتاري الشيء الذي يناقض بالنسبة لبيان يونيو إمكانية وجود خط بروليتاري داخل الحملم ، أو على الأقل إن تبلور هذا الخط البروليتاري داخل صفوف الحملم ممكن على قاعدة دحر الإنتهازيتين... أما نحن فنرى بأنه ليس بإمكان أية حركة سياسية مهما كانت نظرياتها أو برامجها ثورية ، أن تبلور خطا بروليتاريا خارج صفوف الحركة العمالية و طليعتها ، و هذا لا يعني بأنه يكفي لهذه الحركة أن تجد لها امتدادات في صفوف الحركة العمالية لكي تتمكن من ذلك ، و لكنه يعني أن الخط البروليتاري تبلوره طليعة البروليتاريا نفسها و متقفوها العضويون..."

أدرجنا هذا الاستشهاد رغم طوله ، لأن أصحاب التوضيح ينكرون على التنظيمات الماركسية- اللينينية المغربية ، و خصوصا "إلى الأمام" إمكانية بلورة خط بروليتاري ، و من تم لا مجال لأي تحديد سياسي من صنف الانتهازية اليمينية أو الانتهازية اليسارية من جهة ، ولأن الصراع الحالي داخل المنظمة و الحملم هو لمواجهة هذين الصنفين من الانتهازية من جهة أخرى.

و نحن نرد على هذا ، مسجلين منذ البداية بأن أصحابنا على حق عندما يقولون بأن أية حركة سياسية مهما كانت برامجها الثورية و نظرياتها ليس بإمكانها أن تبلور حقا خطا بروليتاريا بمعزل عن حركة واقع البروليتاريا و مساهمتها في بنائه ، و التحام هذه الحركة بها و بنضالاتها و ارتكازها على نظرية ثورية حقة: نظرية البروليتاريا : الماركسية – اللينينية. إن كسب خط بروليتاري هو مسيرة أعوام ، مسيرة طويلة و شاقة و معقدة تعقد الصراع الطبقي نفسه ، و تعقد عملية المعرفة نفسها ، و تعقد العلاقة الجدلية القائمة بين النظرية و الممارسة.

إن جزم رفاقنا بأن حركة المثقفين (و المقصود بها الحملم) ليس من مهمتها بلورة خط بروليتاري ، مسألة في نظري غير صحيحة ، فالبلورة لا تعني قط أن الشيء جاهز ، إن البلورة هي عملية يتفاعل فيها ما هو ملموس بما هو نظري تفاعلا جدليا يؤدي إلى الوصول إلى نتيجة ما. هذا هو معنى البلورة ، فإذا كان رفاقنا يعنون بالبلورة الفكر القبلي الجاهز ، و يجتهدون بكل تفكيرهم البيزنطي لإعجاز الحملم ، فإني أقول أن الخط هو مسيرة ، و بلورته عملية تتجاوب فيها الممارسة و النظرية ، فهم الواقع بهدف التحكم فيه و تغييره. فنحن نكون على خلاف إذن.

إن رفاقنا يائسين تماما من الحملم ، بل و مجندين لمحاربتها. فالحملم في منطقتهم ، لا دور لها من غير التبعية للطبقة العاملة طريقا ، باعتبار هذه الأخيرة هي مصدر المعرفة اليقينية الصحيحة ، و لأنها "بروليتاريا" فهي لوحدها القادرة على بلورة خط بروليتاري.

ما هو إذن دور هؤلاء المثقفين العضويين الذين تنتهي بهم الفقرة المستشهد بها ، إذا لم تكن عملية البلورة يشكلون طرفا مهما فيها في البداية ، قبل تجذر الوعي البروليتاري. إن التوضيح يجعل هذا الارتباط العضوي مجرد عملية تدخل ضمن المساعدة التقنية ، وإن المنظمة حين تقول بإعادة بناء منظمة صلبة وراسخة جماهيريا ، فإنها تعني منظمة ليست لها مهمة تقنية ، بل تقوم بعملها الثوري انطلاقا من اختيار طبقي هو البروليتاريا. إن الإقصاء العملي للمثقفين الثوريين و تنظيمااتهم الماركسية-اللينينية من مهمة بلورة خط البروليتاريا ينطلق من وجهة نظر التوضيح ، من أن نضال الطبقة العاملة الاقتصادي سيوصلها إلى النضال السياسي عبر دينامية هذا النضال المستقلة. وهذا هو ما يطلق عليه "الاقتصادية" والتي تعتمد على قاعدة أن الوعي هو انعكاس ميكانيكي للواقع ، و تلكم هي القاعدة النظرية التي يركز عليها في الجوهر هذا التوضيح الذي ناقشه.

بالنسبة لي ، أعتبر بأن هناك انتهازية يسارية و يمينية ، انطلاقا من أن القاعدة الاجتماعية للحلم (البورجوازية الصغيرة) لا يمكنها أن تلعب دور المحرك للصراع الطبقي ، رغم أن هذه الحلم هي موضوعا ثورية ، لكنها تتأثر بشكل خاص بمختلف الإيديولوجيات البورجوازية و البورجوازية الصغيرة و انتهازياتها ، و أساسا اليمينية ، خاصة في فترات القمع المكثف و جزر الحركة الجماهيرية (مثال الخط الداخلي و بناء الأطر في السلم الذي نظرت له " 23 مارس"³⁷ خلال و بعد حملة الإرهاب و القمع التي تعرضت لها حركة 3 مارس³⁸).

و في نفس الوقت فإن هذه الانزلاقات اليمينية تحكم على هذه التنظيمات بالتفكك السريع لقاعدتها الاجتماعية ، و نظرا لطبيعتها الثورية موضوعيا ، فإن قادتتها سرعان ما يجدون المخرج باحترافهم السياسة ، و بشكل ينظر للتبعية للقوى الإصلاحية.

أما الانزلاق الإنتهازي اليساري ، كالذي عرفه جزء من خط المنظمة و ممارستها و في فترات متفاوتة ، و بحكم تناقض هذا الخط ، فإنه يسد الباب (أي هذا الانزلاق) أمام أي عمل جدي للتجذر في الطبقة العاملة (مثال تسخير كل طاقات المنظمة في 1975 إلى مجابهة الدعاية الشوفينية — و إن كان هذا أمرا ضروريا- بدعاية فوقية و إغراق المدن بالمنشورات ، في حين لم تقم المنظمة بالوقوف عند أكبر ضربة وجهها لها العدو في 1974 و بداية 1975³⁹. كان هذا العمل مجرد هروب إلى الأمام بدل العمل على إرساء الجذور داخل الطبقات الأساسية.

يقول التوضيح: "إن مهمة البناء و إعادة البناء التي وردت في بيان يونيه بشكل غامض ، و التي تطرحها اليوم أغلب اتجاهات الحلم تحت صيغ متعددة ، لا تشكل في نهاية المطاف إلا عملية محافظة على الأرضية الطبقيّة البورجوازية الصغيرة للحلم ، و يستحيل على حركة تقوم على بنية سياسية و إيديولوجية و تنظيمية بورجوازية صغيرة أن تعمل على بناء حزب البروليتاريا. و لهذا فإن المهمة الأساسية الملقاة على عاتق المناضلين الثوريين الذين يطمحون للمساهمة في بناء حزب البروليتاريا إلى جانب الطليعة البروليتارية ، هي الاندماج النضالي العملي و العضوي بحركة

37 . انظر وثيقة "الوضع الراهن و المهام العاجلة للحركة الماركسية — اللينينية" أبريل 1973 ، سبق نشرها في كتاب "الوثائق الأساسية للمنظمة الماركسية — اللينينية المغربية" إلى الأمام ، الخط الثوري ، الجزء الأول.

38 . يتعلق الأمر هنا بالحركة الثورية التي أطلقها الجناح الثوري داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، وهي الحركة التي عرفت باتجاه الفقيه البصري ، و تعرضت على إثرها المجموعات المسلحة إلى التصفية الجسدية ، بينما تعرض جزء من قاداتها للإعدام.

39 . كان يشرف على قيادة منظمة "إلى الأمام" في هذه الفترة مجموعة من وضعوا بيان يونيو 1979 ، و من بينهم المشتري بلعباس و عبد الله المنصوري و غيرهم.

الطبقة العاملة خاصة ، و حركة الجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة عامة. وهذا الاندماج (يستلزم التخلي عن كافة الهياكل التي تقف حاجزا ما بين هؤلاء المناضلين و بين حركة الطبقة العاملة. (التشديد من عندي)

إن أصحاب التوضيح يتجاوزون ما سبق أن طرح في بيان يونيو 1979 فيما يتعلق بإعادة البناء ، و يطرحون الآن فهما محددًا. فإن إعادة البناء غير مطروحة كمهمة رئيسية في الظرف الراهن ، لأن هذا لا يعني غير إعادة إنتاج التجربة داخل قطاع بورجوازي صغير هو الشبيبة المدرسية.

المنظمة ترى في الظرف الراهن مهمة إعادة البناء ، في الوقت الذي يرى فيه أصحاب التوضيح أن مهمة الثوريين ، أن لا يخلقوا بينهم و بين البروليتاريا حواجز بناء أو إعادة بناء تنظيماتهم.

إنه خلاف عميق حقا ، ألا توافقوني على ذلك ؟ لماذا تطرح المنظمة مهمة إعادة البناء ؟

إذا انطلقنا ككل الثوريين حقا ، في تحليلنا لدور البروليتاريا التي نعتبر انتصارها حتمية تاريخية انطلاقا من مميزاتها التي تعرضنا لها في هذا الرد ، فإننا نجد واقعها المادي يدفعها لجملة من النضالات ، هي في حقيقتها وعي جنيني و حسي بوعيها الطبقي ، هو تعبير عن معرفتها الحسية. هذه المعرفة التي لن ترقى إلى الإدراك العقلي إلا مع تجذر الوعي الثوري داخلها و ما يفرض ذلك من عمل للثوريين . إن هذا الوعي الحسي هو في حقيقته رفض للواقع ، و اقع الاستغلال و الفقر و الاضطهاد ، بعفوية كذلك ، لأن واقع البروليتاريا المزري يشعرها باستمرار بالظلم ، يجعل عددا من العمال مستعدين للنضال رفضا لهذا الظلم ، و هذا الاستغلال ، إن عدد هؤلاء العمال يتعاظم باستمرار ، لكنهم لا يدركون أن هذا الاستغلال و هذا الاضطهاد يخترق مجتمعا بكل طبقاته الوطنية ، و بأنه في يوم ما لا يستطيع المرء تجرع مرارة هذا القهر ، و لا يدرك بأن اعتاقه من هذا الوضع صعب ، و بأن أعداءه هم كذلك "يناضلون" (إن صح التعبير) بكل الوسائل السياسية و الإيديولوجية و التنظيمية و القمعية للإبقاء على هذا الوضع ، و لا يدركون من خلال نضالهم العفوي و الاقتصادي ضرورة العمل المنظم إلا في حدود "الوحدة" العمالية لإنجاح الإضراب أو تكسير آلة ، إنهم لا يدركون بالضبط بأن هذا التنظيم الذي يحسون نجاعته عند الضرورة ، و بين الحين و الحين ، هو ما ينبغي الوعي به ، و عيا يرقون به من مستوى الاصطدام مع رب المعمل إلى الحقد المنظم على طبقتهم بأسرها ، يرقون إلى مستوى الربط بين نضالهم — الذي يعمل رب المعمل على تكسيه و حينها يعجز تدخل قوات القمع لحمايته و حماية ممتلكاته ، يطلقون الرصاص إذا "اقتضى" الحال ذلك — سيرقون إلى هذا الربط بين رب المعمل و طبقتهم و الدولة القمعية. إن هؤلاء العمال لا يدركون أهمية عمل منظم يجمع و يستوعب طاقاتهم النضالية المتزايدة لهم و لكل العمال ، ليصير نضالهم نضال طبقة.

إننا نشاهد اليوم و كل يوم هذا الزخم من السخط الجماهيري العارم و لكنه صامت. إنه يعطينا القدرة على التفاؤل و على العمل الجاد الدؤوب ، و لكن الخيبة تصيبنا عند الفشالات كما حال أصحابنا ، فهم لم يفهموا أن العمل المنظم — عمل منظمة ثورية ، عمل منظمة في السرية و تحت الملاحقات البوليسية اليومية — هو عمل أضمن من ذلك الحل الذي وجدوه بكلمة "التنظيمات تعرقل الوصول إلى الطبقة العاملة" ، فلقد فوجئوا بهذا التصاعد لحركة عمالية لا محيد لها عن النضال ، انبهروا أمام تحركاتها العفوية أو المنظمة إلى حدود في إطارات نقابية بورجوازية و إصلاحية ، انبهروا لأن العمل السري لمنظمة سرية لا يمكنه أن يصل حد السخط العام الجماهيري الواسع ، لأن الأول متقلص يعمل لأجل تنظيم هذا السخط و بتكتم ضروري تفرضه الظروف القائمة ، تنظيم لأجل تجذير أبعاد هذا السخط ، و العمل الثاني هو عمل علني سهل لأنه نضال نقابي أو إضراب أو تحرك عام. فالأول قياسا إلى الثاني يبدو متقدما لكنه يعتمد على الكيف و عدم قدرة منظمة ثورية على احتواء السخط الجماهيري كمنظمتنا مثلا ، يجد تفسيره المادي في واقع

احتداد الصراع الطبقي ، فحركة عمالية هي أصلا سابقة لعمل سياسي منظم و ثوري داخل هذه الحركة العمالية. إن عدم توازن كهذا لا ينبغي تجاوزه بإلغاء التنظيمات الثورية من أجل الدخول في حركة السخط العام و العفوي و مسيرته ، بل ينبغي تجاوزه بعمل دؤوب و شاق و منظم و هادف.

إن هذه المنظمة السرية المشكلة من المحترفين الثوريين المنظمين ، و التي تريد بحزم إعادة بناء نفسها في شروط بلادنا ، يفترض أن يتربى فيها مناضلون ثوريون ليس بالكتب الكلاسيكية أو الإسهامات التي قدمها الثوريون فقط ، بل في الانصهار بنضال الطبقة العاملة حتى يتصلبوا حقا و حتى يصير الجيش الصغير و المنظم قادرا على تنظيم معمل بأكمله.

إن مثل هذه المنظمة في شروط بلادنا تكون أصعب على الاصطياد البوليسي و لا ينبغي أن نجزع من الأخطاء السابقة و اصطياد البوليس لنا. علينا أن نجعل من الفشل و أسبابه دروسا للنجاح مستقبلا. إن وجود هذا التنظيم يقوي الثقة و العزم و يشجع على خوض النضال و الكفاح بقوة من أجل بناء الحزب ، و تعميق هذا الإيمان من خلال التجذر الواسع وسط الجماهير العمالية و الفلاحية أساسا.

إن مثل هذه المنظمة تترى من خلال تنظيمها للجماهير ، و من خلال الممارسة ، و باندماجها مع طلائعها و تشييد الأنوية الأولى للحزب. إن منظمة من المحترفين الثوريين يكون بإمكانها أن تتقن أساليب العمل السري و أساليب العمل العلني ، القادرة أن تشيع الثقة بقوتها و صلابتها و الحزم في إنجاز مهماتها في صفوف مناضليها و الجماهير ، و كذلك حتى في حلفاء البروليتاريا الاستراتيجيين و التكتيكيين. إن هذه المنظمة هي التي ينبغي أن نعمل على بنائها على طريق بناء الحزب الشيوعي المغربي بجانب كل الثوريين المغاربة ، و باندماج واسع و عميق مع طلائع البروليتاريا أساسا.

إن دور منظمنا ليس نابعا من رغبة ذاتية لمثقفين ينزلون رسلا على البروليتاريا يعطونها طريق الخلاص ، بل إنه نابع من اختيار لموقف و موقع طبقي أول ما يفترض هو أن يكون كل مناضل في هذه المنظمة مبلترا أو أن يجعل التبلتر مهمة ضرورية من خلال الممارسة.

إن دور المنظمة هو تقديم العمال الطليعيين بدرجة أولى للوقوف على خط واحد مع المثقفين الثوريين من وجهة نظر حزبية ، لأن هذه المنظمة تضع نصب أعينها و بصورة رئيسية رفع العمال إلى مستوى البروليتاريين الثوريين و ليس "الهبوط" إلى مستوى الوعي المتدني لجماهير العمال كما يريد لنا أصحابنا.

إن أصحاب التوضيح لا يوافقون طبعاً على كل هذا ، و يجعلون من فهمهم لطريق بناء الحزب البروليتاري لن يمر عبر هذه الضرورة التي نسميها: إعادة بناء منظمة ماركسية- لينينية صلبة و راسخة جماهيريا. إنهم يتخلون عن إحدى الدروس الأساسية في الثورة الروسية حيث لم يتشكل الحزب إلا بعد عمل دام ما يقرب من عشر سنوات. انظروا ما سجله بتلهام في كتابه: "الصراعات الطبقة في الاتحاد السوفياتي" ص 94 "إن الدور الذي لعبه الحزب البلشفي في 1917 لا يجب أن ينسينا أن هذا الحزب لم يتواجد إلا بعد خمس سنوات ، لأنه ولد في ندوة براغ بين 3 و 7 من شهر يناير 1912. إن هذه الندوة قد مكنت من ولادة حزب لم يكن هو التجميع البسيط لبعض المناضلين أو بعض المثقفين الثوريين ، لأن تأسيس هذا الحزب قد سبقته أكثر من 10 أعوام من النشاط النظري و التنظيمي..."

إن أصحاب التوضيح يضربون بهذا الدرس الذي هو ملك للتجربة البروليتارية في كل مكان. و لكن لنستمر في مقارعة آراء أصحاب التوضيح. في جزء آخر يقول التوضيح:

"لذلك فإن بناء منظمة ما ، لا يمكن أن يتم باعتبارها تنظيماً بروليتارياً تحكمه العلاقات البروليتارية ، ما دام موقع هؤلاء لا يتجاوز حدود مثقفين ثوريين يسترشدون بالماركسية-اللينينية و يمارسون على قاعدتها وسط الحركة العمالية ، وما دامت الشروط التاريخية لم تنتهياً بعد لهذه العملية التي تنجزها العناصر البروليتارية الطليعية والواعية في صفوف الحركة العمالية..."

و في هذه الفقرة يسقط أصحاب التوضيح في تناقض طالما تحاشوه من قبل في "نقدمهم" لإعادة البناء. فهم يعتبرون بأن إنجاز عملية إعادة البناء لمنظمة بروليتارية من مهام طلائع البروليتاريا الواعية في صفوف الحركة العمالية ، و التي يمكن أن تساهم فيها عناصر مثقفة مسترشدة بالماركسية-اللينينية التي استطاعت أن تتحول إلى عناصر بروليتارية من خلال عملية الاندماج...". نتساءل ماذا يعني هذا؟ هل هو تأخير لعملية بناء هذه المنظمة حتى يتم الاندماج؟ هل يعني أن أصحاب التوضيح يخافون من المثقفين البرجوازيين الصغار في مقابل وضع كامل الثقة —.....-العناصر الطليعية الواعية من البروليتاريا !! إنهم ينكرون لفظياً أهمية التنظيم ، و لا يخرجون عن ضرورته لكن بمنظور خاص. و لنا أن نتساءل عن أي "منظمة" يريدون ، هل تلك المنظمة للمحترفين الثوريين حقا؟ طبعاً سندعهم يفصحون عن أنفسهم و عن مبادئهم التي ليست هي المركزية الديمقراطية.

يقول التوضيح: "لا يعني بالنسبة لنا نفي العمل المنظم ، و لكن العلاقات السياسية التي تقام بين المناضلين الثوريين يجب أن تحدد من خلال عنصرين هما:

- النقاش والتعاون الذي تفرضه شروط النضال السياسي الثوري وسط الحركة العمالية و حركة الجماهير في مواجهة العدو.

- تطوير الوعي السياسي الذي يفترض خلق الأدوات و الأساليب المختلفة للصراع السياسي و الإيديولوجي بين هؤلاء الثوريين و تبادل الدروس و التجارب بارتباط عضوي مع الحركة النضالية للجماهير ذات المصلحة الأساسية في الثورة. "إن هذه الطاقات السياسية قائمة على قاعدة الممارسة الثورية الملموسة وسط الجماهير العمالية من جهة ، و على قاعدة الديمقراطية الثورية من جهة أخرى..."

إن أصحاب التوضيح يستعيضون في هذا العمل المنظم الذي لا ينكرونه عملياً عن المبادئ الحازمة اللينينية في ميدان التنظيم بالتضامن و التعاون الذي "تفرضه ضرورات النضال السياسي الثوري". ماذا يعني هذا بالملحوس؟ أي تضامن هذا يمكن أن يرتكز على أسس إنسانية صرفة من نوع التآزر؟ و ما هذه الضرورات السياسية الثورية؟ هل في الاحتراف؟ هل في العمل السري؟ ما هي أساليب تطوير الوعي السياسي للطبقة العاملة؟ هل هي الجريدة؟ أو على الأقل إحدى الوسائل الممكنة...من يضمن سير جريدة نعرف أن نجاحها مرهون بكونها جريدة مركزية صادرة عن تنظيم له أسسه و مبادئه و أجهزته السياسية و التقنية؟ ما عسى أن يكون توجه هذه الجريدة مثلاً هل هو نوايا هؤلاء المناضلين البروليتاريين أو هو بالضبط ذلك "التنظيم" الذي يريد أصحابنا خلقه.؟

أيضاً هذا الصراع السياسي و الإيديولوجي الذي يتحدثون عن وقوعه ما عسى يكون فحواه بين هؤلاء الثوريين؟ هل تبادل التجارب؟ لقد مرت الحملم في تجربتها بتبادل التجارب في كل القطاعات التي تواجهت فيها تنظيماتها ، و لكي نتبادل التجارب يجب أن نستفيد منها أكبر عدد ممكن ، كيف يمكن تنظيم هذه العملية؟ يجيب رفاقنا إذا نحن سألناهم عن كل هذا ، بأن العمل المنظم له قواعد: قاعدتين بالضبط:

- قاعدة الممارسة الثورية الملموسة.

- قاعدة الديمقراطية الثورية.

أي مقياس يحدد "الممارسة الثورية الملموسة"؟ بالنسبة لي ، إن الممارسة الثورية هي تجسيد لتصور ثوري ، هي إغناء له باستمرار هي عملية تغني النظرية الثورية. بالنسبة لأصحابنا الذين يجعلون من المثقف الثوري إنسانا ينزل إلى الطبقة العاملة للإندماج بها ، ما هو مقياس الثورية لهذا المثقف الذي نخلع عنه صفة "الثورية" ، ما دام أصحابنا يقولون بأنه لا يصح النزول إلى الطبقة العاملة بأفكار جاهزة و قبلية؟!

القاعدة الثانية: "الديموقراطية الثورية" عن أي ديموقراطية ثورية نتحدث؟ نسجل منذ البدء أنه لا ديموقراطية ثورية فعلية بدون مركزية. و مادام أصحابنا ينفون المبادئ التنظيمية اللينينية بحكم عدم توفر حزب البروليتاريا ، فماذا يبقى إذن ، نقول لهم بكلمة غير مخادعة: تبقى كلمة (الديموقراطية) بدون صفة "الثورية".

إن الديموقراطية ضرورة من ضرورات العلاقات الداخلية ، بل هي شرط حيوي لتجسيد وحدة متقدمة في المنظمة ، ولكنها ديموقراطية مرتبطة دوما بممارسة صحيحة للمركزية. نعم لديموقراطية مبنية على مركزية للأراء السديدة ، نعم لهذا المبدأ: "المركزية الديموقراطية" و ينبغي أن نحترم دوما طرفيه المتناقضين.

إن أصحابنا ينكرون هذا المبدأ كما حللنا ذلك من قبل. إذن فلا نغالط أنفسنا ، إنهم يدعون ببساطة إلى "ديموقراطية" التي تعني النقاش الواسع و الموسع و الذي لا يمكن أن يخلص إلى أي نتيجة. هل يمكن تحقيق هذا المبدأ: "الديموقراطية"؟ في اعتقادي نعم إذا توفرت الشروط التالية:

الشرط الأول: العلنية ، لأن ديموقراطية تعني النقاش المفتوح الذي لا يعلم أحد متى يقفل بابه في غياب أداة منظمة ينكرها أصحاب التوضيح و يدعون لحلها. ماذا تفترض العلنية؟ عملا شرعيا بلا شك.

هل يفكر أصحابنا في هذه "الديموقراطية" خاصة في ظروف بلادنا ، اللهم إذا حصروا عملهم الثوري داخل النقابات الحالية ، أو حشروا أنفسهم في نقاشات الصالونات ، لأن عملا سياسيا ثوريا يعرفون ربما أن النظام يناهضه ، فكيف يسمح هذا النظام لمناضلين ثوريين بالتحرك علانية و في نيتهم بناء حزب طبقي يشكل عدوه المباشر. نظن أن الأمر لا يحتاج إلى تعليق.

الشرط الثاني: الديموقراطية تفترض أصلا ، كمبدأ بورجوازي ، مسألة الانتخاب ، نتساءل من سينتخب من و لماذا؟ كيف يكون هذا في ظروف المحاصرة الدائمة للطبقة العاملة.

لا نريد أن نذهب في النتائج المنطقية لطرح هاتين القاعدتين فقد نصل إلى "ما لا تحمد عقباه" النظرية و العملية ، لكننا نسجل بأن هذا النوع الذي يريده أصحابنا من المنظمات لن يكون غير "مجمع للحكماء" يرفض المبادئ الفعلية لنجاحات البروليتاريا يجردها من أسلحتها الناجعة و أهمية التدريب عليها و ممارستها ، لهزم أعدائها و قيادتها نفسها و المجتمع. إن ضرورة منظمة ماركسية- لينينية ينبغي عليها لكي تحقق شعار "صلبة و راسخة جماهيريا" أن تتمرس من خلال النضال و الاندماج بالبرولتاريا و بطلانها المتقدمة و الواعية لبناء "أنوية" أولى لحزب البروليتاريا المغربي.

و خلاصة نقول: إن أصحاب التوضيح حينما يعتبرون بأن إعادة بناء المنظمة ، أو أي منظمة أخرى في صفوف الحلم ، هي عملية غير مطروحة لأنها تعرقل تقدم وعي البرولتاريا ، و المطروح بالتالي على كل المناضلين الثوريين هو حل هذه التنظيمات و النزول إلى الطبقة العاملة للاندماج في طلائعها ، حينما يقولون هذا يتناقضون عندما يطرحون مجموعة "مبادئ" خاصة تنظم هذا العمل. و هم بذلك على مستوى التنظيم يقدمون مفاهيم غريبة عن الماركسية- اللينينية ، مفاهيم تجسد الفوضوية في ميدان العلاقات. إن هذا الفهم لن يعمل إلا على تقديم البروليتاريا هدية إلى أعدائها الطبقيين في نهاية المطاف ، مهما كثر الحديث عن الحزب البرولتاري.

إن الرؤية لتكتمل لدينا:

- تقديس العفوية العمالية و الركوع أمامها باندهاش.

- اعتبار البروليتاريا ستبني حزبها لوحدها و هي قادرة على ذلك.

- لا ضرورة للمبادئ اللينينية في التنظيم ما دام الحزب لم يوجد.

تلكم هي خصائص تلك النظرة التي عملنا على نقدها في النقط المعالجة في هذا الرد. و إننا لنواجه خطر هذه الطروحات في صفوف الحركة العمالية المغربية ، خطر الفوضوية و العفوية و الاقتصادية. علينا أن نحارب هذه المفاهيم التي تجد أرضيتها الخصبة في واقع التفكك و ضعف القوى الثورية المغربية عموما في وقت تتقدم فيه نضالية الطبقة العاملة على رأس نضال مجموع الشعب و تطرح في ظروف القمع و الإرهاب مهمة شاقة على الثوريين الحقيقيين.

+++++

تعرض التوضيح لمسألتي الوحدة بين فصائل الحركة الماركسية-اللينينية و مسألة الصحراء الغربية كذلك. و فيما يخص المسألتين ، أعتبر أن عددا من وثائق المنظمة تجيب عليها باستفاضة خاصة في أرضية المهمات المستعجلة. و يمكن أن أطرح خاتمة لهذا الرد على طروحات أصحاب التوضيح. إن الرد كان هدفي منه هو إبراز خطأ هذه الطروحات في نقط محددة تعد حساسة في الوضع الحالي لحركة ثورية ماركسية-لينينية مغربية ، هذا من جهة ، و من جهة ثانية الرغبة في المساهمة في الصراع الديمقراطي بين كل اللذين لا يزالون مقتنعين بالبروليتاريا و حتمية انتصارها ، و خاصة بالنسبة لمناضلين مثلي في "إلى الأمام" ، يسعون إلى تفهم الخلافات الدائرة في صفوف الثوريين ، و بين منظماتهم و خصوصها السياسيين من انتهازيين من كل التلاوين ، و ذلك بغية الفعل في الصراع و تشكيل قناعات على أساسه ، قناعة مشتركة داخل منظماتنا.

إن القضايا التي تم التركيز عليها في هذه المحاولة المتواضعة ، عمدت إلى أطروحات داخل التنظيمات الماركسية-اللينينية المغربية و على رأسها "إلى الأمام" ، و اعتماد تحليل حاولت إبراز أسسه النظرية بتحديدده بالاقتصادية ، حيث يرى أن مهمة الثوريين الحالية هي النزول إلى الطبقة العاملة ، و اعتبار مهمة بناء الحزب هي مهمة البروليتاريا و انطلاقا من واقعها المادي لوحده ، هذا الواقع الذي سيدفع بها إلى بناء الحزب ، و ما على الثوريين إلا الاندماج بطلائعها. و لقد حاولت ما أمكنني تبيان أن هذا الفهم هو انحراف و ضرب لرصيد المنظمة الكفاحي و لتجربة البروليتاريا العالمية و عدم فهم لطبيعة و أهمية دور إعادة بناء منظمة صلبة و راسخة جماهيريا و ما هي حدود العملية و أهدافها.

و من جهة ثانية ، و على المستوى السياسي ينظر أصحاب التوضيح للعفوية ، إذ أن هذا الحزب البروليتاري سيتزعزع أو ربما سينزغ من نضال البروليتاريا الاقتصادي لوحده ، مركزين ذلك في مقولة "البروليتاريا هي التي تخلق حزبها".

إن هذه النظرية العفوية ، هي تجسيد سياسي للنظرية الاقتصادية في فهم الواقع المعقد في بلادنا ، و الذي تتشابك خيوطه و تتداخل ، فيها واقع الطبقة العاملة المضطهدة و إمكانيات و عيها الحسي بذلك ، و الإيديولوجية البورجوازية الصغيرة التي تريد لها البقاء في حدود سقف النضال الاقتصادي لا غير ، الشيء الذي لا يجعل البروليتاريا تسير في اتجاه الوعي الذي يريد لها أصحاب البيان ، بقدر ما يتخلف هذا الوعي في غياب منظمة ثورية من المحترفين الثوريين تجعل على عاتقها مهمة الرفع من وعي البروليتاريا إلى مستوى الوعي الحزبي و عيا طبقيا في النهاية.

إن تأكيدنا هنا على نظرتهم العفوية لن يخدم في النهاية إلا البرجوازية كما أوضحت في الرد. و على المستوى التنظيمي تسود مفاهيم الفوضوية ، حيث ينكر أصحاب التوضيح أهمية المبادئ اللينينية في التنظيم ، من مركزية ديموقراطية⁴⁰ و انضباط و تربية على العلاقات الحزبية ، و يطرحون بدائل في العلاقات غامضة و منحرفة ، تبين أبسط ما تبين ، خوف البرجوازيين الصغار الذين عجت بهم تجربة المنظمة والحركة من الانضباط. إن فهما فوضويا في ميدان التنظيم هو ضرب لأهم مكتسب بيد البروليتاريا و سلاحها القوي ، رغم الحديث العام عن أهمية الحزب و دوره في التوضيح.

وعلى مستوى أساليب العمل حسب التوضيح ، هو سيادة التجريبية كما أوضحت ذلك في نقد الأسس و العلاقات التي يتصورها أصحابنا بين " المثقفين الثوريين " .

إن كل هذه الأطروحات تصب في اتجاه تصفية الرصيد الكفاحي للمنظمة⁴¹ ، و رد فعل برجوازي صغير على العلاقات التي عرفت بها تجربة المنظمة و الحركة عموما. و هي انحراف في صفوف من يريدون فعلا العمل داخل الحركة العمالية المغربية ، و خدمة أهدافها الاستراتيجية و المرحلية.

40 . من سخرية التاريخ سيصبح صاحب المقال ، أحد أشد الأعداء للمبادئ اللينينية ، و سيكون رأس حربة في محاربة الخط الماركسي – اللينيني الثوري ، و سيقوم بالتأسيس للتحريفية الجديدة داخل المنظمة و خارجها بالمغرب.

41 . بعد بحث دقيق و مضني تعذر علينا إدخال هذا الفصل ضمن سياق الوثيقة ، و هو بالمناسبة جزء أصيل منها لكنه غير مكتمل إما لضيق بقيته أو ربما لعدم اكتماله ، و احتراما للأمانة الفكرية قررنا نشره هنا كملحق بعدما تأكدنا أن جل النقط المسطرة في بدايته قد تم التطرق لها في الوثيقة ، ما عدا هذا الجزء الخاص بالمركزية الديموقراطية الغير الكامل ، و عليه ارتأينا أن نضعه كملحق للوثيقة تكميلا للفائدة و احترامنا للنزاهة الفكرية.

الملحق

علاقات جديدة بديلا عن المركزية الديموقراطية

في الجزء الثاني من التوضيح نجد النقط التالية:

1-المركزية الديموقراطية.

2-إعادة البناء.

3-الوحدة.

4-الصحراء.

و هذه النقط لا يعتبرها التوضيح متجليات لأزمة الحمل على عكس ما فعل بيان يونيو ، و لذلك فهو يوضح الأسس التي جعلت أصحابه لا يرون هذه المتجليات قائمة ، و من جهتي أناقش ما أجد نفسي في تعارض معه.

1-المركزية الديموقراطية:

يقول التوضيح: "...و رغم الغموض الذي يحيط بالتطورات التي عرفها هذا المبدأ على مدى تجربة الحركة الشيوعية العالمية ، فإنه يبقى مبدءا لينينيا قام على أساسين هما:

- الضرورات التي تفرضها شروط النضال السياسي الثوري للبروليتاريا ضد أعدائها الطبقيين.

- التجسيد للعلاقات البروليتارية داخل التنظيم الحزبي للبروليتاريا..."

أعقب على هذا الأمر: يعرف رفاقنا ربما أن لينين وضع اللبنة الأولى لهذا المفهوم الذي يعتبره أصحابنا مبدءا للعلاقات البروليتارية منذ عام 1902 ، و يعرف رفاقنا بأن جماعة الإسكرا بل و الحزب الاشتراكي الديموقراطي ليسوا كلهم بروليتاريين منذ ذلك الحين ، و مع ذلك ، كانت هذه العلاقات. هذه مجرد ملاحظة بسيطة.

يضيف التوضيح: " لهذا فالمركزية الديموقراطية لا يمكن اختزالها أو ممارستها من خلال بضعة قوانين جامدة و ثابتة أو على شكل وصفات جاهزة تطبق وفقا للرغبات الذاتية للأفراد أو التنظيمات ، و إنما هي مبدء له مضمون سياسي و إيديولوجي طبقي قبل أن يكون مبدءا تنظيميا ، و لا يمكن تطبيقها حتى وسط الطليعة البروليتارية إلا في مستوى متقدم من تطور الحركة العمالية و نضالها السياسي الثوري و تقدم مستوى وعيها الطبقي..

و أسجل في النهاية ، بأن هذه المساهمة المتواضعة جدا قد يكون فيها من الثغرات هي الأخرى الشيء الكثير ، ولكنني أمل أن تكون بقدرها الضئيل حبة زيت في فتيل الصراع السياسي و الإيديولوجي الديموقراطي الهادف لتقديم مسيرتنا الثورية.

مناضل

نحن أيضا نعتبر بأن المركزية الديموقراطية ليست مبدءا تنظيميا ، كما نعتبرها إفرآزا من إفرآزات نضال البرولتاريا عبر تاريخها النضالي ، و هي كذلك إحدى المكتسبات الجوهرية لأي عمل سياسي شريطة تجسيدها الحي والخلاق في واقع الممارسة النضالية. و هي قبل كل هذا ذات مضمون طبقي ، فهي تجد أسسها المادية في المزايا التاريخية التي تكتسبها الطبقة العاملة من نمط حياتها الإنتاجية و دورها في علاقات الإنتاج ، تلك المزايا التي تقوم على:

-العمل الجماعي و تقسيم العمل الذي يعني الابتعاد عن الفردية و ما يخلقه من أنانية و فردية و فوضوية.
-الوحدة المتزايدة باستمرار للمصالح النهائية للبروليتاريا و التماسك الداخلي بين صفوفها لمواجهة الاستغلال الطبقي الذي يقوم به أعداؤها الطبقيين.

-الانضباط الصارم و روح المثابرة و الصبر و طول النفس الذي يميزها كطبقة لها مصلحة قصوى في الثورة ، نظرا لكونها في مواجهة دائمة مع المستغلين و المضطهدين.

هكذا نرى المركزية الديموقراطية. هل طبقنا بشكل سديد المركزية الديموقراطية في تجربتنا كمنظمة ؟
أجيب ب "لا" إننا لم نتعامل مع المركزية الديموقراطية بشكل حي و خلاق في واقع التجربة. فالمركزية انطلقت من منطلق صحيح هو وحدة الفكر و الممارسة و الإرادة داخل المنظمة ، و لكن مارسنا هذا المنطلق بطريقة و أساليب خاطئة. فالوحدة ظلت بالنسبة لنا داخل المنظمة قائمة بتردد التناقض و طمس طابعه الجوهرى ، فعملنا في الممارسة على بناء منظمة مبنية على الفكر الوحيد. و اليوم ندرك بمزيد من العمق أن شرط الوحدة الصحيحة داخل المنظمة يفترض المركزية الديموقراطية.....